أعلام الأدب
في
عصر بني أمية

تأليف
د. محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ والعميد بجامعة الأزهر

الجزء الثاني

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الكميت بن زيد الأسدى

٦٠ — ١٢٦ هـ

شاعر فحل مشهور من شعراء الدولة الأموية ، وأحد البلغاء الخطباء الفصحاء ، وممن يضرب بهم المثل فى البلاغة والبيان ، ذلكم هو الكميت بن زيد الأسدى .

موطن الكميت هو الكوفة ، والكوفة من أشهر البلاد الإسلامية وأذيعها صيتاً فى اللغة والأدب والشعر ، وهى مجال الصراع السياسى بين الشيعة وبنى أمية ، وكانت عاصمة على ، وبقربها قتل الحسين بكربلاء ، وأكثر أهلها شيعة يتعصبون لعلى وآل بيته .

والد الكميت هو زيد بن خنيس بن مجالد من مضر من نزار ، وقومه مشهورون بفصاحة اللغة وسلامة الملكات .

ولد سنة ٦٠ هـ ونشأ بالكوفة بين قومه بنى أسد احدى قبائل العرب الفصحاء من مضر ، فلقن العربية ، وعرف الأدب والرواية ، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها ، بمدارسة العلم والأخذ عن الأعراب . وكان له جدتان أدركتا الجاهلية فكانتا تقصان عليه أخبارها وأشعار أهلها ، فخرج أعلم أهل زمانه فى ذلك ، وأقر له حماد الراوية بالسبق عليه . وقال الكميت الشعر وهو صغير ، وكان لا يذيعه ولا يتكسب به ، ويكتفى بحرفته تعليم صبيان الكوفة بالمسجد . ولما حصف شعره وقوى أسره ، ولاسيما فى قصائده التى أعلن فيها تشيعه لبنى هاشم وآل على ، أنشد الفرزدق مستنصحا له فى أمر إذاعته إذا أعجبه ، فأمر باذاعته .

الكميت شاعر بنى هاشم السياسى :

لما قال الكميت (١) بن زيد الأسدى الهاشميات ، قدم البصرة ، فأتى الفرزدق ، فقال : يا أبا فراس إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك ! قال : ومن أنت؟

---

(١) خزانة الأدب ص ٢٣٧ ج ٤ ، المسعودى ص ١٩٠ ج ٢ ، وقد نشأ الكميت الشاعر نشأ فى الكوفة وتأدب على علمائها ، وأخذ عن الاعراب ، وعالج الشعر ، حتى نبه شأنه واتصل بالولاة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم ، وقد لقى فى سبيل مذهبه الشيعى بلاء كثير ، وقد أثار الفتنة بين عدنان وقحطان ، وفتح للشيعة طريق مناظرة خصومهم بالشعر

فانتسب له. فقال : صدقت ! فما حاجتك ؟ قال : نفث على لسانى ، فقلت شعرا ، وأحببت أن أعرض عليك ماقلت ، فان كان حسنا أمرتنى باذاعته ، وان كان غير ذلك أمرتنى بستره ، وسترته على. فقال : يابن أخى أحسب شعرك على قدرعقلك ، فهات ما قلت راشدا ، فأنشده :

طربت وماشوقا إلى البيض(١) أطرب ولا لعباً منى وذو الشيب يلعب

قال : بلى : فانك فى أوان اللعب فالعب ، فقال :

ولم يلهنى دار ولا رسم(٢) منزل ولم يتطربنى بنان مخضب

قال : فما يطربك يابن أخى ؟ فقال :

وما أنا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب (٣)

قال : فما أنت ؟ ويحك ! وإلى من تسمو ؟ فقال:

ولا السانحات (٤) البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب؟

قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بنى حواء والخير يطلب

قال : من هم ؟ ويحك ! قال :

إلى النفر البيض(٥) الذين بحبهم إلى الله فيما نابنى أتقرب

قال: أرحنى ، ويحك ! من هؤلاء ؟ قال :

بنى هاشم رهط (٦) النبى فاننى بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

قال : لله در بنى أبيك! أصبت وأحسنت ، إذ عدلت عن الزعانف والأوباش ، إذن لا يصرد (٧) سهمك ، ولا يكذب قولك .

---

(١) البيض : جمع بيضاء يريد النساء (٢) رسم : أثر ، يتطربنى : يحملنى على الطرب (٣) الزجر للطير : هو التيمن والتشاؤم بها ، والغراب أعظم ماكانت العرب تتطير به . وهذا نوع من العيافة (٤) السانح ما ولاك ميامنه ، والبارح : ما ولاك مياسره ، وكان أهل نجد يتيمنون بالأول ويتشاءمون بالثانى، وأهل العامة بالعكس . والأعضب : الثور المكسور القرن ، وكانوا يتشاءمون به (٥) البيض : المشهورون من الأشراف (٦) الرهط : القوم والقبيلة (٧) صرد السهم : أخطأ ونفذ حده ضد .

ثم مر فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر ، فأنت والله أشعر من مضى ، وأشعر من بقى .

فقدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن على بن الحسين ، فأذن له ليلا ، وأنشده ، فلما بلغ من الميمية قوله :

وقتيل بالطف(١) غودر منهم بين غوغاء أمـــة وطغام

بكى أبو جعفر ، ثم قال : ياكميت ! لو كان عندنا مال لأعطيناك ، ولكن لك ما قال رسول لله لحسان بن ثابت : لا زلت مؤيدا بروح القـــدس ما ذببت عنا أهل البيت !

فخرج من عنده فأتى عبـد الله بن الحسن بن على فأنشده فقال له : إن لى ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار ، وهـــذا كتابها ؛ وقد أشهدت لك بذلك شهودا، وناوله إياه .

فقال : بأبى أنت وأمى ! إنى كنت أقول الشعر فى غيركم ، أريد بذلك الدنيا والمال ! ولكنى والله ما قلته فيكم إلا لله ! وماكنت لآخذ على شىء جعلته لله مالا ولا ثمنا ، فالح عبد الله عليه ، وأبى من إعفائه .

فأخذ الكميت الكتاب ومضى ، فمكث أياما، ثم جاء إلى عبد الله فقال : بأبى أنت وأمى، يابن رسول الله، إن لى حاجة؟ قال : وما هى ؟ وكل حاجة لك مقضية. قال : كائنة ما كانت ؟قال : نعم! قال : هذا الكتاب تقبله، وترتجع الضيعة! ووضع الكتاب بين يديه! فقبله عبد الله.

ونهض عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأخذ ثوبا ، فدفعه إلى أربعة من غلمانه ، ثم جعل يدخل دور بنى هاشم ، ويقول : يابنى هاشم ، هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبنى أمية ، فأثيبوه بما قدرتم! فيطرح الرجل فى الثوب ماقدر عليه من دراهم ودنانير، وأعلم النساء بذلك، فكانت المرأة تبعث ما أمكنها ، حتى إنها لتخلع الحلى عن جسدها . فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم.

فجاء بها إلى الكميت فقال له : أتيناك بجهد المقل ، ونحن فى دولة عدونا ،وقد

---

(١) الطف : موضع قرب الكوفة ، وقتيل الطف هو الحسين عليه السلام .

جمعنا هذا المال ، وفيه حلى النساء كما ترى ، فاستعن به على دهرك . فقال : بأبى أنت وأمى ! قد أكثرتم وأطيبتم ، وما أردت بمدحى إياكم إلا الله ورسوله ، ولم أك لآخذ لذلك ثمنا من الدنيا ، فاردده إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة فأبى ، فقال : إن أبيت أن تقبل ، فانى رأيت أن تقول شيئا يغضب منه بعض الناس ، لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يحب .

فابتـــدأ الكميت ، وقال قصيدته التى يذكر فيها مناقب قومه من مضر ، وربيعة(١) وإياد وأنمار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنب فى وصفهم ، وأنهم أفضل من قحطان .

فثارت العصبية فى البدو والحضر ، وانحرف أهل اليمن إلى الدعوة العباسية ، وأعقب ذلك انتقال الدولة عن بنى أمية ، إلى بنى هاشم .

ومن هذه القصيدة :

وجدت الله إذ سمى نزارا وأسكنهم بمـــكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجبينا

وقد نقض دعبل هذه القصيدة على الكميت ، وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها ، كما فعل الكميت وذلك فى قصيدته التى منها :

أفيقى من ملامك ياظعينا كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالى يشيبن الذوائب والقرونا

وكان الكميت من شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية المقارعين، العالمين بالمثالب .

الكميت يهجو اليمانية :

وكان (١) حكيم بن عباس الأعور الكلبى ولعاً بهجاء مضر ، فكانت شعراء مضر تهجوه ويجيبهم ؛ وكان الكميت يقول : هو والله أشعر منكم ، قالوا : فأجب الرجل : قال : إن خالد بن عبد الله القسرى محسن إلى ، فلا أقدر أن أرد عليه . قالوا : فاسمع باذنك ما يقول فى بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ،

---

(١) الأغانى ص ١١٠ ج ١٥

وأنشدوه ذلك ، فحمى الكميت لعشيرته ، وقال قصيدة هجا فيها أهل اليمن ، وبلغ خالداً آخرها ، فقال : لا أبالى ما لم يجر لعشيرتى ذكر ، فأنشدوه القصيدة وفيها ذم لعشيرة خالد ، فأحفظته عليه ، ثم قال : فعلها ، والله لأقتلنه !

ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن ، وتخيرهن نهاية فى حسن الوجوه والكمال والأدب ، فرواهن الهاشميات ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك ، فاشتراهن جميعاً ، فلما أنس بهن استنطقهن ، فرأى فصاحة وأدباً ، فاستقرأهن القرآن فقرأن ، واستنشدهن الشعر فأنشدنه قصائد الكميت بن زيد الأسدى ، قال : وفى أى بلد هو؟ قلن : فى العراق ، ثم بالكوفة .

فكتب إلى خالد ـ وهو عامله على العراق : ابعث إلى برأس الكميت بن زيد ، فبعث خالد إلى الكميت فى الليل ، فأخذه وأودعه السجن ، ولما كان من الغد أقرأ من حضره من مضر كتاب هشام ، واعتذر إليهم من قتله ، وآذنهم فى إنفاذ الأمر فيه فى غد .

ثم قال لأبان بن الوليد البجلى — وكان صديقاً للكميت — انظر ما ورد فى صديقك ، فقال : عز على والله ذلك .

ثم قام أبان فبعث إلى الكميت بغلام على بغل وقال له : أنت حر إن لحقته والبغل لك ، وكتب إليه : « قد بلغنى ما صرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل ، وأرى لك أن تبعث إلى حبى (١) ، فإذا دخلت إليك تنقبت بنقابها ، ولبست ثيابها وخرجت ، فانى أرجو ألا يؤبه لك » .

فأرسل الكميت إلى أبى وضاح حبيب بن بديل وإلى فتيان من بنى عمه ، فدخل عليه حبيب ، فأخبره الخبر ، وشاوره فيه ، فسدد رأيه .

ثم بعث إلى حبى امرأته ، فقص عليها القصة وقال لها : أى ابنة عم ، إن الوالى لا يقدم عليك ، ولا يسلمك قومك ، ولو خفته عليك لما عرضتك له ، فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته ، وقالت له : أقبل وأدبر ، ففعل ، فقالت : ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً فى كتفك ، فاخرج على اسم الله — وأخرجت معه جارية لها — فخرج ، وعلى باب السجن أبو وضاح ومعه فتيان من بنى أسد ، فلم يؤبه له ، ومشى والفتيان بين يديه ، فمر بمجلس من مجالس بنى تميم ، فقال بعضهم : رجل ورب

---

(١) هى زوج الكميت

الكعبة ، وأمر غلامه فاتبعه ، فصاح به أبو الوضاح : يا كذا وكذا ، لأراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم ! وأومأ إليه بنعله ، فولى العبد مدبراً ، وأدخله أبو الوضاح منزله

ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه ، فدخل ليعرف خبره ، فصاحت به المرأة وراءك ! لا أم لك ! فشق ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد ، فأخبره الخبر ، فأحضر حبى ، وقال لها : يا عدوة الله ، احتلت على أمير المؤمنين ، وأخرجت عدوه لأمثلن بك ، ولأصنعن ولأفعلن ! فاجتمعت بنو أسد وقالوا : ما سبيلك على امرأة منا خدعت ! فخافهم ، وخلى سبيلها !

وسقط غراب على الحائط فنعب ، فقال الكميت لأبى الوضاح : إنى لمأخوذ ، وإن حائطك لساقط ، فقال : سبحان الله ! هذا مالا يكون إن شاء الله ، فقال له : لا بد من أن تحولنى ، فخرج به إلى بنى علقمة - وكانوا يتشيعون - فأقام فيهم ، ولم يصبح حتى سقط الحائط الذى سقط عليه الغراب .

وأقام الكميت مدة متوارياً حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلا فى جماعة من بنى أسد على خوف ووجل ، وكان عالماً بالنجوم مهتدياً ، فلما صار سحيرا صاح بالفتيان : هوموا (١)، وقام هو يصلى . ثم رأى واحد منهم شخصاً ، فتضعضع (٢) له ، فقال الكميت : مالك ؟ قال : أرى شيئاً مقبلا ، فنظر إليه ، فقال: هو ذئب قد جاء يستطعمكم ، فجاء الذئب فربض ناحية ، فأطعموه يد جزور فتعرقها (٣) ، ثم أهووا له بإناء فيه ماء فشرب منه ، وارتحلوا ، فجعل الذئب يعوى ، فقال الكميت : ماله ؟ ويله ! ألم نطعمه ونسقه ؟ وما أعرفنى بما يريد ، هو يعلمنا أنا لسنا على الطريق ، تيامنوا يافتيان ، فتيامنوا ، فسكن عواؤه !

ولم يزل يسير حتى جاء الشام ، وتوارى فى بنى أسد وتميم ، ورحل إلى أشراف قريش — وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص — فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض ، وأتوا عنبسة ، فقالوا : يا أبا خالد ، هذه مكرمة قد أتاك الله بها ، هذا الكميت بن زيد لسان مضر ، كتب أمير المؤمنين فى قتله ، فنجا حتى تخلص إليك وإلينا .

---

(١) أصل التهويم والتهوم : هز الرأس من النعاس (٢) تضعضع : خضع وذل
(٣) تعرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .

قال : فروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام ، فمضى الكميت ، فضرب فسطاطه عند قبره ، ومضى عنبسة ، فأتى مسلمة بن هشام فقال له : يا أبا شاكر ، مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها ، فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها . قال : وما هي ؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحكم بما لم يسمع بمثله ، فقال : على خلاصه .

ودخل على أبيه هشام ـ في غير وقت دخول ـ فقال له هشام : أجئت لحاجة ؟ قال : نعم ، قال : هي مقضية إلا أن يكون الكميت ، فقال : ما أحب أن تستثني على في حاجتي ، وما أنا والكميت ؟ فقالت أمه : والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت ، قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها (١) ، قال : هي الكميت يا أمير المؤمنين ؟ وهو آمن بأمان الله عز وجل وأماني ، وهو شاعر مضر ، وقد قال فينا قولا لم يقل مثله ، قال : قد أمنته وأجزت أمانك له ، فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا .

وعقد المجلس وارتجل الكميت في هذا المجلس خطبة ما سمع بمثلها قط ، وامتدح بني أمية بقصيدته الرائية التي ارتجلها ارتجالا حتى إنه لم يجمع منها إلا تلك الأبيات التي حفظها الناس في هذا المجلس ، وقد سئل عنها الكميت فقال : ما أحفظ منها شيئاً إنما هو كلام ارتجلته .

وقد بدأ قوله في المجلس بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ، ثم قال : « أما بعد ، فإني كنت أتدهدى في غمرة ، وأعوم في بحر غواية ، أخنى على خطلها ، واستنفرني وهلها ، فتحيرت في الضلالة ، وتسكعت في الجهالة ، مهرعا عن الحق جائراً عن القصد . أقول الباطل ضلالا . وأفوه بالبهتان وبالا . وهذا مقام العائذ، مبصر الهدى ، ورافض . العماية . فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة ، واصفح عن الزلة ، واعف عن الجرم » .

ثم أنشد قصيدته التي أولها :

« قف بالديار وقوف زائر »

---

(١) القطر : الجانب والناحية .

وفيها يقول :

ماذا عليك من الوقو ف بها وأنك غير صاغر
درجت عليهـــا الغاديا ت الرائحات من الأعاصر(١)

وفيها يقول :

والآن صرت إلى أميـــة والأمور إلى المصائر

فجعل هشام يغمز مسلة بقضيب فى يده ، ويقول : اسمع اسمع .

وفيها يقول :

كم قال قائلكم لعاً لك عند عثرته لعاثر
وغفرتمو لذوى الذنو ب من الأكابر والأصاغر
أبنى أميـــة إنــكم أهل الوسائل والأوامر
ثقـتى بكل ملمـــة وعشيرتى دون العشائر
أنتم معادن للخــلا فة كابراً من بعد كابر
بالتســعة المتتـــابعين خلائفاً وبخير عاشر
وإلى القيامة لا تزا ل لشافع منكم وواتر (٢)

ثم قطع الإنشاد ، وأعاد خطبته ، فقال :

« إغضاء أمير المؤمنين سماحته وصباحته ، ومناط المنتجعين من لا تحل حبوته لإساءة المذنبين ، فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين .

فقال هشام : ويلك يا كميت ! « من زين لك الغواية ودلاك فى العماية » . قال : « الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد ، فلم يجد له عزما » .

قال له : فأنت القائل :

---

(١) الأعاصر : جمع إعصار ، وهى الريح تثير السحاب ، أو التى تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، والأصل فى الجمع الأعاصير ولكنه خفف بحذف الياء كالمفاتح فى المفاتيح .

(٢) شافع وواتر : أى لمن يتتابع منكم فيكون شفعاً فى العدد أو وترا

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً فى غير حبلك تحطب

قال : بل أنا القائل :

وجدنا قريشاً قريش البطاح على ما بنى الأول الأول

بهم صلح الناس بعد الفساد وحيص من الفتق ما رعبلوا (١)

قال هشام : فأنت القائل :

لا كعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعد أو كهشام

من يمت لا يمت فقيداً فقيداً ومن يحى فلاذو إل ولا ذو ذمام

ويلك يا كميت ! جعلتنا ممن لا يرقب فى مؤمن إلا ولا ذمة : قال : بل أنا القائل :

فالآن صرت إلى أمية والأمور إلى المصائر

بابن العقائل للعقا ئل والجحاجحة الأخاير

من عبد شمس والأكا بر من أمية فالأكابر

إن الخلافة والإلا ف برغم ذى حسد وواغر (٢)

دلفا من الشرف التليد إليك بالرفد الموافر (٣)

فحللت معتلج البطاح ح وحل غيرك بالظواهر (٤)

قال له : فأنت القائل :

فقل لبنى أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا

أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركمو أجيعا

بمرضى السياسة هاشمى يكون حياً لأمته ربيعا

قال : لا تثريب يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تمحو قولى الكاذب . . . . قال : بماذا ؟

قال : بقولى الصادق :

أورثته الحصان أم هشام حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا

---

(١) حاص الرجل الثوب : خاطه . رعبل الثوب : مزقه :

(٢) الواغر : الحاقد . الإلاف : هو الإيلاف ، ومعناه فى القرآن العهد .

(٣) الضمير فى دلفا يعود إلى الخلافة والإلاف ، ودلف : مشى فى تؤدة .

(٤) اعتلجت الأرض : طال نبتها . البطاح : جمع أبطح أو بطحاء وهما مسيل الماء فيه دقاق الحصى . الظواهر : أشراف الأرض أى ما ارتفع منها .

وتعاطى به ابن عائشة البد　　ر فأمسى له رقيباً نظيرا

وكساه أبو الخلائف مروا　　ن سنى المكارم المأثورا

لم تجهم له البطاح ولكن　　وجدتها له معاناً ودورا

وكان هشام متكئا ، فاستوى جالساً وقال : هكذا فليكن الشعر . ثم قال : لقد رضيت عنك يا كميت ، فقبل يده ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن تزيد فى تشريفى فلا تجعل لخالد على إمارة قال : قد فعلت وكتب له .

آراء فى الكميت : سئل معاذ الهراء عن أشعر الناس ؟ فقال : من الجاهليين امرؤ القيس ، وزهير ، وعبيد بن الأبرص ؛ ومن الاسلاميين : الفرزدق ، وجرير والأخطل . فقيل : يا أبا محمد ، ما رأيناك ذكرت الكميت ، قال ذلك أشعر الاولين والآخرين .. وفيه يقول أبو عكرمة الضبى . لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان . وقال أبو عبيدة : لو لم يكن لبنى أسد منقبة غير الكميت لكفاهم: حببهم إلى الناس وأبقى لهم ذكراً ، وقيل : فى الكميت خصال لم تكن فى شاعر : كان أحببهم إلى الناس وأبقى لهم ذكراً ، وقيل : فى الكميت خصال لم تكن فى شاعر : كان خطيب بنى أسد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن ، وكان ثبت الجنان ، وكان كاتبا حسن الخط ، وكان نسابة ، وكان جدليا ، وهو أول من ناظر فى التشيع مجاهراً بذلك .

وفد(١) الكميت على يزيد(٢) بن عبد الملك فدخل عليه يوما وقد اشتريت له سلامة القس ، فأدخلت إليه والكميت حاضر ، فقال له : يا أبا المستهل ، هذه جارية تباع ، أفترى أن نبتاعها ؟ قال : إى والله يا أمير المؤمنين ، وما أرى أن لها مثلا فى الدنيا فلا تفوتنك ، قال : فصفها فى شعر حتى أقبل رأيك ، فقال :

هى شمس النهار فى الحسن إلا　　أنها فضلت بقتل الظراف

غضة بضة رخيم لعوب　　وعثة المتن شختة(٣) الأطراف

---

(١) مهذب الأغانى ص ٢٠٧ ج ٥

(٢) من ملوك الدولة الأموية فى الشام ، تولى الخلافة بعد وفاة عمر بن العزيز سنة ١٠١ هـ ولم يطل عهده إذ توفى سنة ١٠٥ هـ

(٣) الشخت : الدقيق الضامر من الأصل لاهزالا .

زانها دلها وثغر نقي   وحديث مرتل غير جاف
خلقت فوق منية المتمنى   فاقبل النصح يابن عبد مناف

فضحك يزيد وقال: قد قبلنا نصحك ياأبا المستهل(١)، وأمر له بجائزة سنية.

أشهر هاشميات الكميت

قال الكميت بن زيد الأسدي يمدح بني هاشم وهي إحدى القصائد الست الهاشميات:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب   ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب
ولم تلهني دار ولا رسم منزل   ولم يتطربني بنان مخضب
ولا أنا ممن يزجر الطير همه   أطار غراب أم تعرض ثعلب؟(٢)
ولا السانحات البارحات عشية   أمر سليم القرن أم مر أعضب؟(٣)
ولكن إلى أهل الفضائل والتقى   وخير بني حواء والخير يطلب
إلى النفر البيض الذين بحبهم   إلى الله فيما نالني أتقرب
بني هاشم — رهط النبي — فانني   بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة   إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا   مجنا على أني أذم وأقصب(٤)
وأرمى وأرمي بالعداوة أهلها   وإني لأوذى فيهم وأؤنب
فما ساءني قول امرىء ذي عداوة   بعوراء فيهم يجتديني فيجدب(٥)

---

(١) كنية للكميت.

(٢) زجر الطير وغيرها: طرقها بحصاة حتى تتحرك، فان ولتك ميامنها، فهي سانحة، وإن ولتك مياسرها، فهي بارحة، ومما كان العرب يتشاءمون به تعرض الثعلب في الطريق.

(٣) الأعضب المكسور أحد قرنيه، والعرب يتشاءمون به.

(٤) يريد بهؤلاء وهؤلا: أعداء بني هاشم من الخوارج وبني أمية. والمجن الترس. وأقصب: أشتم.

(٥) العوراء الكلمة القبيحة. ويجدب: أي يعيب.

فقل للذى فى ظل عمياء جونة ... يرى الجور عدلا: أين لا أين يذهب؟
بأى كتاب أم بأية سنة ... ترى حبهم عارا على وتحسب
ومن غيرهم أرضى لنفسى شيعة ... ومن بعدهم لا من أجل وأرجب(١)
إليكم ذوى آل النبى تطلعت ... نوازع من قلبى ظماء وألبب(٢)
وإنى عن الأمر الذى تكرهونه ... بقولى وفعلى ما استطعت لأجنب
يشيرون بالأيدى إلى وقولهم: ... ألا خاب هذا والمشيرون أخيب
فطائفة قد أكفرتنى بحبكم ... وطائفة قالوا: مسىء ومذنب
فما ساءنى تكفير هاتيك منهم ... ولا عيب هاتيك التى هى أعيب

وفيها يناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فدى لك موروثا أبى وأبو أبى ... ونفسى، ونفسى بعد بالناس أطيب
بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة ... فنحن بنو الإسلام ندعى وننسب
حياتك كانت مجدنا وسناءنا ... وموتك جدع للعرانين مرعب(٣)
وأنت أمين الله فى الناس كلهم ... علينا، وفيما احتاز شرق ومغرب (٤)
ونستخلف الأموات بعدك كلهم(٥) ... ونعتب لو كنا على الحق نعتب
وبوركت مولودا وبوركت ناشئا ... وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب
وبورك قبر أنت فيه وبوركت ... به وله أهل بذلك يثرب
لقد غيبوا برا وصدقا ونائلا ... عشية واراك الصفيح المنصب

ومن هاشمياته أيضاً:

---

(١) أرجب: أى أهاب.
(٢) ألبب: جمع لب.
(٣) العرانين جمع عرنين: الأنف. والمراد بجدع العرنين الذلة والمهانة.
(٤) وفيما احتاز شرق ومغرب: أى فيما ضمه شرق وغرب.
(٥) نستخلف الأموات: أى نلتمس منهم خلفا.

ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الاساءة مقبل (١)
وهل أمة مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسة المتزمل (٢)
فقدطال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو كان ذا الميل يعدل
وعطلت الأيام حتى كأننا على ملة غير التى نتنحل
كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل
رضينا بدنيا لانريد فراقها على أننا فيها نموت و نقتل
ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جنة (٣) مما نخاف ومعقل (٤)
اراد على حب الحياة وطولها يجد بنا فى كل يوم ونهزل

وقال الكميت يمدح خالد بن عبد الله (٥) :

لو قيل للجود من حليفك(٦) ما إن كان إلا إليك ينتسب
أنت أخوه وأنت صورته والرأس منه وغيرك الذنب
أحرزت فضل النضال (٧) فى مهل فكل يوم بكفك القصب (٨)
لو أن كعبا (٩) وحاتما (١٠) نشرا كان جميعا من بعض ماتهب
لاتخلف الوعد إن وعدت ولا أنت عن المعتفين (١١) تحتجب
ما دونك اليوم من نوال ولا خلفك للراغبين منقلب

وقال يهجو:

فقل لبنى امية حيث حلوا - وإن خفت المهند والقطيعا -
اجاع الله من أشبعتموه واشبع من بجوركم أجيعا
بمرضى السياسة هاشمى يكون حيا لامته ربيعا

---

(١) أى أما آن للعاقل ان ينتبه وللنائم ان يستيقظ (٢) الملتف (٣) وقاية (٤) ملجأ
(٥) هو أمير العراق المقتول سنة ١٢٦ هـ (٦) حليفك هو الذى يعاهدك على ان يكون أمركما واحدا فى النصر والحماية (٧) المباراة فى الرمى (٨) كل نبات ذى انابيب الواحدة قصبة واحرز القصب أو قصب السبق غلب (٩) هو كعب ابن مامة من اياد احد أجواد العرب المضروب بهم المثل فى الكرم (١٠) هو حاتم ابن عبد الله الطائى الجواد الطائر الصيت والشاعر المجيد ، مات قبيل الاسلام
(١١) طلاب المعروف والرزق

ومن الهاشميات هذه القصيدة التى نذكر بعضا منها :

من لقلب متيم مستهام	غير ما صبوة ولا أحلام
طارقات ولا ادكار غوان	واضحات الخدود كالآرام (١)
بل هواى الذى أجن وأبدى	لبنى هاشم فروع الأنام (٢)
للقريبين من ندى والبعيديـ	من الجور فى عرى الأحكام
والمصيبين باب ما أخطأ النـ	اس ومرسى قواعد الإسلام (٣)
والحماة الكفاة فى الحرب إن	لف ضرام وقوده بضرام
والغيوث الذين إن محل النا	س فمأوى حواضن الأيتام
والولاة الكفاة للأمر إن طر	ق يتنا بمجهض أو تمام (٤)

ويقول فى وصف رسول الله منها :

أسرة الصادق الحديث أبى القا	سم فرع القدامس القدام (٥)
خير حى وميت من بنى آ	دم طرا مأمومهم والإمام

وفيها يذكر الحسين ، فيقول :

وقتيل بالطف غودر منه	بين غوغاء أمة وطغام (٦)
تركب الطير كالمجاسد منه	مع هاب من التراب هيام (٧)
وتطيل المرزآت المقاليت	عليه القعود بعد القيام (٨)

---

(١) طارقات : وصف لأحلام . والإذكار . التذكر . غوان : جمع غانية ، وهى المرأة الجميلة .

(٢) أجن مضارع جن (كنصر) : أستر وأخفى ، ومثله أجن (كأكرم) . فروع : جمع فرع وهو أعلى الشىء .

(٣) مرسى قواعد الإسلام : من أرسى الشىء بمعنى ثبته وأقره .

(٤) طرقت الحبلى : إذا خرج شىء من المولود وبقى شىء . اليتن : المولود الذى خرجت رجلاه قبل رأسه ويديه . المجهض : الذى ألقته أمه قبل تمامه .

(٦) الطف : موضع قرب الكوفة .

(٧) المجاسد : الثياب المزعفرة . الهيام : الذى يتساقط من نفسه .

(٨) المقاليت : جمع مقلاة وهى المرأة لا يعيش لها ولد .

شعراء آخرون

أبو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة من بنى أمية ، كان والده الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه .

والوليد أبوه يكنى أبا وهب وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم ، قال سعيد بن العاص : لم يكن يجلس مع عثمان رضى الله عنه إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبى العاص والوليد بن عقبة ، وولاه الكوفة فقدمها وعليها سعد بن أبى وقاص ، فأخبر بقدومه فقال : وما صنع ؟ قال : وقف فى السوق فهو يحدث الناس هناك ، ولسنا ننكر شيئاً من شأنه ، فلم يلبث أن جاءه نصف النهار ، فاستأذن على سعد فأذن له ، فسلم عليه بالامرة وجلس معه ، فقال له سعد : ما أقدمك يا أبا وهب ؟ قال : أحببت زيارتك ، قال : وعلى ذلك أجئت بريداً ؟ قال : أنا أرزن من ذلك ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرحونى اليه ، وقد استعملنى أمير المؤمنين على الكوفة ، فمكث سعد طويلا ثم قال : لا والله ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك .

فقال : أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك ، ولو شئت أجبتك ولكنى أدع ذلك لما تعلم ، نعم ، والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر فى أمر عمالك ، ثم بعث إلى عماله فحبسهم وضيق عليهم ، فكتبوا إلى سعد يستغيثون فكلمه فيهم ، فقال أو للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم والله ، فخلى سبيلهم .

وكان أبو زبيد (١) الطائى وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأنزله الوليد داراً لعقيل بن أبى طالب على باب المسجد ، فاستوهبها منه ، فوهبها له ، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة ، لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع إلى الوليد ، فيسمر عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران فذلك نبههم عليه .

ولما قتل عثمان أرسل على فأخذ ما كان فى داره من السلاح وإبل الصدقة ، فذلك حيث يقول الوليد :

---

(١) شاعر فحل مخضرم ، انظر ترجمته فى ص ٨٥ الجزء الأول من مهذب الأغانى .

ألا من لليل لا تغور كواكبه ... إذا غار نجم لاح نجم يراقبه
بنى هاشم ردا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بنى هاشم لا تعجلوا باقادة (١) ... سواء علينا قاتلوه وسالبه
فقد يجبر العظم الكبير وينبرى (٢) ... لذى الحق يوما حقه فيطالبه
وإنا وإياكم وما كان منكم ... كصدع الصفا (٣) لا يرأب الصدع شاعبه
بنى هاشم كيف التعاقد بيننا ... وعند على سيفه ونجائبه (٤)

لعمرك لا أنسى ابن (٥) أروى وقتله ... وهل ينسين الماء ما عاش شاربه
هم قتلوه كى يكونوا مكانه ... كما غدرت يوما بكسرى مرازبه (٦)
وإنى لمجتاب اليكم بجحفل ... يصم السميع جرسه (٧) وجوالبه

وقال يرثى عثمان ويحرض معاوية :

فوالله ما هند بأمك إن مضى ... النهار ولم يثأر بعثمان ثائر
أيقتل عبد القوم سيد أهله ... ولم يقتلوه ليت أمك عاقر
وإنا متى نقتلهم لا يقد بهم (٨) ... مقيد وقد دارت عليك الدوائر

وقال وقد أبلغه بجاد مولى عثمان مقتل عثمان :

طال ليلى وملنى عوادى ... وتجافى عن الضلوع مهادى
من حديث نمى إلى فما ير ... فأدمعى (٩) ولا أحس رقادى
ليت أنى هلكت قبل حديث ... سل جسمى وريع منه فؤادى
يوم لاقيت بالبلاط (١٠) بجاداً ... ليت أنى هلكت قبل بجاد
وبنفسى التى أحب وأهلى ... وبمالى وطارفى وتلادى
قلت لا تغضبي فذلك قولى ... بلسانى وما يجن فؤادى

---

(١) أقاد الأمير القاتل بالقتيل : قتله به قودا أى قصاصا (٢) انبرى له : اعترض
(٣) الصفا جمع صفاة : وهى الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وصدعه شقه ، ورأب الصدع : أصلحه . وشاعبه : مصلحه ، والمعنى : أنه صدع لا يعالج .
(٤) مفرده نجيب ونجيبة وهى الناقة الكريمة .
(٥) هو عثمان بن عفان ، وأروى أمه . (٦) المرزبة : رياسة الفرس وهو مرزبانهم بفتح فسكون فضم وهذا جمعه ، ويقال مرازبة . (٧) الجرس : الصوت والجوالب من الجلب : وهو اختلاط الصوت ، وكتبت فى الأصل جلائبه ولا معنى لها هنا .
(٨) أى لا يقتص بهم مقتص ، من القود وهو القصاص . (٩) رقأ الدمع جف
(١٠) البلاط : موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مبلط

وأبو قطيفة يكنى أبا الوليد ، وأبو قطيفة لقب لقب به ، وأمه بنت الربيع ابن ذى الخمار من بنى أسد بن خزيمة . وكان شاعراً بليغاً مجيداً ، وله شعر كثير .

قال أبو قطيفة لما أجلى الزبيريون الأمويين عن المدينة .

بكى أحد لما تحمل أهله — فسلع (١) فدار المال أمست تصدع
وبالشام إخوانى وجل عشيرتى — فقد جعلت نفسى اليهم تطلع

وقال :

ليت شعرى هل البلاط كعهدى — والمصلى الى قصور العقيق (٢)
لا منى فى هواك يا أم يحيى — من مبين بغشه أو صديق

وكان ابن الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاهم من بنى أمية عن المدينة إلى الشام ، فلما طال مقامه بها قال :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا — قباء (٣) وهل زال العقيق وحاضره
وهل برحت بطحاء قبر محمد — أراهط غر من قريش تباكره
لهم منتهى حبى وصفو مودتى — ومحض الهوى منى وللناس سائره

وقال :

ليت شعرى وأين منى ليت — أعلى العهد يلبن فبرام (٤)
أم كعهدى العقيق أم غيرته — بعدى الحادثات والأيام
وبأهلى بدلت عكا ولخما — وجذاما وأين منى جذام (٥)
وتبدلت من مساكن قومى — والقصور التى بها الآطام (٦)
كل قصر مشيد ذى أواس (٧) — يتغنى على ذراه الحمام

---

(١) موضع بقرب بالمدينة . (٢) كل مسيل ماء شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه فهو عقيق ، وهو هنا بناحية المدينة . (٣) قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . (٤) جبل قرب المدينة . وبرام : جبل فى بلاد بنى سليم عند الحرة من ناحية البقيع . (٥) عك ولخم وجذام من قبائل اليمن وكانت تقيم بالشام لعهده . (٦) الآطام : الدور المسطحة السقوف

(٧) الآسية : الدعامة ، وجمعها أواس ، ويروى ذى أواش ، كأنه أراد أن هذه القصور موشية أى منقوشة ، والذرى : جمع ذروة بالكسر والضم وهى المكان المرتفع

أقر منى السلام إن جئت قومى وقليل لهم لدى السلام
أقطع الليل كله باكتئاب وزفير فما أكاد أنام
نحو قومى إذ فرقت بيننا الدا ر، وحادت عن قصدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عنت الدهـ ر بحرب يشيب منها الغلام
فلقد حان أن يكون لهذا الـ دهر عنا تباعد وانصرام

ولما بلغ ابن الزبير هذا الشعر قال: أحسن والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله، من لقيه فليخبره أنه آمن فليرجع، فأخبر بذلك فانكفأ الى المدينة راجعاً فلم يصل اليها حتى مات وقال:

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا جبوب المصلى أم كعهدى القرائن (١)
وهل أدؤر حول البلاط (٢) عوامر من الحى أم هل بالمدينة ساكن؟
اذا برقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق منى برقها المتيامن
فلم أتركنها رغبة عن بلادها ولكنه ما قدر الله كائن
أحن إلى تلك الوجوه صبابة كأنى أسير فى السلاسل راهن

العبلى

هو عبد الله بن عمر بن عبد الله من بنى عبد شمس بن عبد مناف، شاعر مجيد من شعراء قريش، ومن مخضرمى الدولتين، والعبلى من عبد العزى بن عبد شمس، وإنما أدخلهم الناس فى العبلات لما صار الأمر لبنى أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم فى الجاهلية وكثر أشرافهم، فجعل سائر بنى عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة فسموهم أمية الصغرى، ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم.

كان عبد الله فى أيام بنى أمية يميل إلى بنى هاشم ويذم بنى أمية ولم يكن منهم اليه صنع جميل، فسلم بذلك فى أيام بنى العباس، ثم خرج على المنصور فى أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن.

---

(١) القرائن: موضع بالمدينة، والجبوب: الأرض الصلبة. (٢) البلاط: موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين المسجد وسوق المدينة.

وفد العبلى إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بهذه القصيدة :

ليتنى من كنود بالغور (١) عودى بصفاء الهوى من أم أسيد
ما سمعنا ذلك الهوى ونسينا عهده فارجعى به ثم زيدى
قد تولى عصر الشباب فقيدا رب جار يبين غير فقيد
خلق الثوب من شباب ولبس وجديد الشباب غير جديد

ومنهـــا فى هشام

ملك يشمل الرعية منه بأياد ليست بذات خمود
أخضر الربع والجناب خصيب أفيح المستراد (٢) للمستريد
بذل العدل فى القصاص فأضحى لا يخاف الضعيف ظلم الشديد
من بنى النضر من ذرى منبت النض ر بأورى زند وأكرم عود
فهو كالقلب فى الجوانح منها واسط سر (٣) جذمها والعديد

لم ير الله معشرا من بنى مر وان أولى بالملك والتسويد
قادة سادة ملوك بحار وبهاليل للقروم (٤) الصيد
يقطعون النهار بالرأى والحز م ويحيون ليلهم بالسجود
أهل رفد وسودد وحياء ووفاء بالوعد والموعود
ويرون الجوار من حرم الل ه فما الجار فيهم بوحيد
لو بمجد نال الخلود قبيل آل مروان فزتم بالخلود
يا ابن خير الأخيار من عبد شمس يا إمام الورى ورب الجنود
عبد شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكان بعيد
ثم جدى الأدنى وعمك شيخى وأبو شيخك الكريم الجدود
فأثبنى ثواب مثلك مثلى تلقنى للثواب غير جحود
وبحسب امرىء من الخير يرجى كونه عند ظلك الممدود

---

(١) الغور: تهامة (٢) المستراد : المرعى.والأفيح: الواسع (٣)الجذم: الأصل
(٤) جمع قرم وهو السيد العظيم : والبهاليل : جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع لكل خير .

وقال عبدالله بن عمر العبلى الأموى (١) : يرثى بنى أمية حين نكبهم العباسيون:

تقـول أمامـة لمـا رأت ... نشوزى عن المضـجع الأنفس
وقلة نومى على مضجعى ... لدى هجمة الأعين النعس
أبى ما عراك ؟ فقلت الهموم ... منعن أباك فلاتبلسى (٢)
عرون أباك فحبسنه ... من الذل فى شر ما محبس
لفقد العشيرة إذ نالها ... سهام من الحرب لم تيأس
رمتها المنون فلا أنصل ... ولا طائشات ولا نـكس (٣)
بأسهمها الخالسات النفوس ... متى ما اقتضت مهجة تخنس (٤)
فصرعاهم فى نواحى البلا ... د تلقى بأرض ولم ترمس
كريم أصيب وأثوابه ... من العار والذام لم تدنس
وآخر قد طار خوف الردى ... وكان الهمام فلم يخسس
فكم غادروا من بواكى العيو ... ن مرضى ومن صبية بؤس
إذا ما ذكرتهم لم تنم ... لحر الهموم ولم تجلس
يرجعن مثل بكاء الحمـا ... م فى مـأتم قلق المجلس
فذاك الذى غالنى فاعلمى ... ولا تسـألينى فتستنحسى
أفاض المدامع قتلى كـدا ... وقتـلى ببـكة لم ترمس (٥)
وبالزابيين نفوس ثوت ... وقتلى بنهر أبى فرطس
أولئك قوم تداعت بهم ... نوائب من زمن متعس
أذلت قيادى لمن رامنى ... وألزقت الرغم بالمعطس
فما أنس لا أنس قتلاهم ... ولا عاش بعدهم من نسى

---

(١) شاعر مجيد من شعراء قريش أدرك الدولة العباسية ويكنى أباعدى ويلقب بالعبلى ، وكان على انتسابه إلى بنى أمية يميل إلى بنى هاشم .

(٢) أبلس الرجل : يئس من رحمة الله :

(٣) نصل السهم : حديدها . ونـكس : جمع نكس — بكسر النون وسكون الـكاف — أضعف السهام ، ومعنى البيتين أن المنون رمتها بسهام لانصال لها ولا هى طائشة ولا ضعيفة .

(٤) خلس النفس : أخذها من حيث لا تتق . وخنس : اختنى وانقبض .

(٥) ترمس : تقبر وكذا الثنية السفلى مما يلى باب العمرة بمكة .

وكان العبلى بجفوا فى أيام بنى مروان ، وكان منقطعاً الى بنى هاشم ، فلما أفضت الخلافة اليهم لم يبقوا على أحد من أمية ، وكان الأمر فى قتلهم جداً إلا من هرب وطار على وجهه ، فخاف العبلى أن يقع به مكروه فى تلك الفورة ، فتوارى ، وأخذ داود بن على حرمه وماله فهرب ، حتى أتى أبا العباس السفاح فدخل عليه فى غمار (١) الناس متنكرا وجلس حجرة (٢) حتى انفض القوم وتفرقوا وبقى أبو العباس مع خاصته ، فوثب اليه فوقف بين يديه وقال :

ألا قل للمنازل بالستار (٣) سقيت الغيث من دمن قفار
فهل لك بعدنا علم بسلمى وأتراب لها شبه الصوار (٤)

ومنها :

سأرحل رحلة فيها اعتزام وجد فى رواح وابتكار
إلى أهل الرسول غدت برحلى عذافرة (٧) ترامى بالصحارى
تؤم المعشر الأبرار تبغى فكاكا للنساء من الإسار
أيا أهل الرسول وصيد (٦) فهر وخير الواقفين على الجمار
أتؤخذ نسوتى ويحاز مالى وقد جاهرت لو أغنى جهارى

وأذعر أن دعيت لعبد شمس وقد أمسكت بالحرم الصوارى (٧)
بنصرة هاشم شهرت نفسى بدارى للعدا وبغير دارى
بقربى هاشم وبحق صهر لأحمد لفه طيب النجار

فقال له السفاح : من أنت ؟ فانتسب له فقال : حق لعمرى أعرفه قديماً ومودة لا أجحدها : وكتب له إلى داود بإطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه وإكرامه ، وأمر له بنفقة تبلغه المدينة .

---

(١) غمار الناس : زحمتهم وكثرتهم . (٢) حجرة بفتح فسكون : ناحية .
(٣) الستار : علم لجملة أمكنة ببلاد العرب (٤) الصوار : القطيع من البقر
(٥) العذافرة : الناقة العظيمة الشديدة :
(٦) جمع أصيد وهو الرجل الذى يرفع رأسه كبرا . (٧) جمع صار وهو الحافظ

عبد الرحمن بن الحكم

هوعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصى بن أمية ، يكنى أبا مطرف ، شاعر إسلامى ، متوسط بين شعراء زمانه .

ولما ادعى معاوية زياداً قال ابن الحكم

ألا أبلغ معاوية بن حرب — مغلغلة من الرجل الهجان (١)
أتغضب أن يقال أبوك عف — وترضى أن يقال أبوك زانى !

فبلغ ذلك معاوية لحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج الى زياد : فلما دخل عليه قال : إيه ياعبد الرحمن أنت القائل «ألا أبلغ» ، فقال : لا ، أيها الأمير ما هكذا قلت ولكنى قلت :

ألا من مبلغ عنى زياداً — مغلغلة من الرجل الهجان
حلفت برب مكة والمصلى — وبالتوراة أحلف والقران
لأنت زيادة فى آل حرب — أحب الى من وسطى بنانى
سررت بقربه وفرحت لما — أتانى الله منه بالبيـان
وقلت له أخو ثقة وعم — بعون الله فى هذا الزمان
كذاك أراك والأهواء شتى — فما أدرى بغيب ما ترانى ؟

فرضى عنه زياد وكتب له بذلك إلى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب قال : أنشدنى ما قلت لزياد، فأنشده ، فتبسم ثم قال : قبح الله زياداً ما أجهله ! والله لما قلت له أخيراً حيث تقول « لأنت زيادة فى آل حرب » شر من القول الأول ، ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه .

وكان بينه وبين عبد الرحمن بن حسان مهاجاة . ومن هجاء عبد الرحمن له :

دع ذا وعد قريض شعرك فى امرىء — يهذى وينشد شعره كالفاجر
عثمان عمكم ولستم مثله — وبنو أمية منكم كالآمر
وبنو أبيه سخيفة أحلامهم — فحش النفوس لدى الجليس الزائر

---

١) رجل هجان : كريم حسيب .

أحيـاؤهم عار على أمواتهم والميتـــون مســـبة للغابر
هم ينظرون إذا مـــددت اليهم نظر التيوس إلى شفار الجازر
خزر العيون منكس أذقانهم نظر الذليل إلى القوى القاهر

يزيد بن معاوية

٢٦ — ٦٤ هـ

أمه ميسون بنت بحدل الـكلبي ولد فى السنة السادسة والعشرين للهجرة ببلاد الشام حيث كان أبوه واليا عليها من قبل الخليفة عثمان بن عفان ، وقد نشأ يزيد مترفا معروفا بقول الشعر والصيد وسماع الغناء وحب الشراب ، حتى فى أشد الأوقات احيانا إلى التورع والخشوع، قال ابن الأثير (١): حج يزيد فى حياة أبيه فلما بلغ المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عباس والحسين فقيل له إن ابن عباس إن وجد ريح الشراب عرفه فحجبه وأذن للحسين فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله در طيبك ما أطيبه فما هذا ، قال هو طيب يصنع فى الشام ثم دعا بقدح فشربه ثم دعا بآخر فقال اسق أبا عبد الله فقال الحسين : عليك شرابك أيها المرء ولاعين عليك منى ، فقال يزيد :

ألا يا صاح للعجب دعوتك ذا ولم تجب
إلى القينات والشهوات والصهبـاء والطـرب

فنهض الحسين تاركا المجلس عند سماعه هذه الابيات من يزيد ... وعلى الرغم من استهتاره ومزاولته ما يستنكر من الأعمال وخصوصا فى ذلك العصر ، فقد كان أبوه يرشحه فى حياته لمباشرة جلائل الاعمال فينيبه عنه فى المواسم ويسند إليه قيادة الجيوش ويغزيه أرض الروم ؛ حتى بلغ عاصمتهم القسطنطينية فى السنة التاسعة والاربعين للهجرة

على أن استهتار ابن معاوية وتهاونه فى دينه جعل المسلمين يصدفون عن مبايعته بولاية العهد عند ما نبتت هذه الفكرة فى رأس المغيرة بن شعبة وبقيت تلك الفكرة مستكنة حتى مات زياد وهو من تعرفون ولاءه وإخلاصه لآل أبى سيفان . ولـكن ذلك لم يمنعه من أن يضن بها على يزيد لتهاونه فى دينه فبقى الأمر إلى السنة السادسة

(١) الـكامل ج٤ ص٥٤

والحسين، فعهد اليه بالأمر بعده عامئذ ، ولما مات أبوه أفضت إليه إمارة المسلمين بمقاليدها وبايعه بها الناس للنصف من رجب أو لثمان بقين منه

أقر يزيد عمال أبيه على ما بأيديهم وقد كان النعمان بن بشير الأنصارى على الكوفة وعبيد الله بن زياد على البصرة والوليد بن عتبة بن أبي سيفان على المدينة وعمرو بن سعيد بن العاص على مكة ... وما كاد يزيد يجلس على العرش حتى صرف همه إلى مبايعة النفر الذين أبوا بيعته على عهد معاوية ، فكتب الى عامله بالمدينة ينعى أباه ويطلب اليه أن يأخذ له البيعة من هؤلاء المتخلفين غير آل معهم جهدا أو مستعملا لينا أو هوادة وسرعان ما أرسل الوالى الى مروان بن الحكم ليعلمه الخبر ويشاوره فى أمر البيعة فاتفقا على أن يشخصا إليهما من ساعتهما هؤلاء المنابذين ليزيد خشية أن يتسرب اليهم النبأ فلا يظفر بهم الوالى بعد ذلك. وفعلا نفرت الرسل إليهم ، فألفوا الحسين وابن الزبير فى المسجد فدعوهما إلى الأمير فذهب الحسين اليه من ليلته ولما عرض عليه البيعة قال له « إن مثلى لا يبايع سرا » فتركه حتى يبايع فى عامة الناس بالرغم من الحاح مروان عليه فى عدم إفلاته حتى يبايع، وأما ابن الزبير فلزم بيته وأخذ يستمهل رسل الوليد الفينة بعد الفينة ثم خرج مستخفيا إلى مكة ولحق به كذلك الحسين خفية ومعه أهل بيته ، وأما ابن عمر فبايع .

كان يزيد شاعرا ومما يغنى من شعره :

ألا يا صاح للعجب ... دعوتك ثم لم تجب
الى القينات واللذا ... ت والصهباء والطرب
وباطية (١) مكللة ... عليها سادة العرب
وفيهن التى تبلت (٢) ... فؤادك ثم لم تثب

وقدم سلم بن زياد على يزيد فنادمه ، فقال له ليلة : ألا أوليك خراسان ؟ فقال: بلى وسجستان فعقد له فى ليلته فقال :

اسقنى شربة تروى عظامى ... ثم عد واسق مثلها ابن زياد
موضع السر والأمانة منى ... وعلى ثغر مغنمى وجهادى

---

(١) الباطية : إناء من الزجاج يملأ من الشراب يوضع بين الشراب يغترفون منه . ومكللة : ملبسة إكليلا ، والمراد ما يحيط بها (٢) تبله الحب : أسقمه وهزله .

ومن قوله فى إجارته للأخطل من الانصار :

دعا الاخطل الملهوف بالشر دعوة فاى مجيب كنت لما دعانيا
ففرج عنه مشهد القوم مشهدى وألسنة الواشين عنه لسانيا

ويروى أن يزيد بن معاويه دخل على أبيه مغضبا فقال له : إن عبد الرحمن ابن حسان يشبب بابنتك رملة ، قال : وما يقول فيها ؟ قال : يقول :

وهى بيضاء مثل لؤلؤة الغو اص صيغت من لؤلؤ مكنون

قال : صدق ، قال : ويقول :

وإذا ما نسبتها لم تجدها فى سناء من المكارم دون (١)

قال : صدق أيضا . قال : ويقول :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء تمشى فى مرمر مسنون (٢)

قال كذب ، قال : فهلا تبعث إليه من يأتيك برأسه ؟ قال : يا بنى لو فعلت ذلك لكان أشد عليك ، لانه يكون سببا للخوض فى ذكره ، فيكثر مكثر ، ويزيد زائد ، اضرب عن هذا صفحا ، واطو دونه كشحا .

وروى أنه لما شبب برملة قال الناس لمعاوية : لو جعلته نكالا ! فقال : لا ، ولكن أداويه بغير ذلك ، فلما وفد عليه — وكان يدخل فى أخريات الناس — أجلسه عل سرير معه وأقبل عليه بوجهه وحديثه ، ثم قال له : ابنتى الأخرى عاتبة عليك ، قال : فى أى شىء ؟ قال : فى مدحك أختها وتركك إياها ، قال : فلها العتبى (٣) وكرامة ، أنا ذا كرها ، فلما شبب بها — ولم يكن لمعاوية ابنة غير رملة — علم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية .

ومن شعر يزيد فى علة أبيه التى مات فيها :

جاء البريد بقرطاس يخب به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ما ذا فى صحيفتكم قال الخليفة أمسى مثبتا وجعا

---

(١) السناء : الرفعة .

(٢) خاصرتها ، أخذت بخصرها وأخذت بخصرى ، والمرمر : الرخام ، المسنون والمعنى فى جسم كالمرمر المسنون .

(٣) العتبى : الرضا .

مادت بنا الأرض أو كادت تميد بنا	كأن ما عز من أركانها انقلعا
من لم تزل نفسه توفى على وجل	توشك مقادير تلك النفس أن تقعا
لما وردت وباب القصر منطبق	لصوت رملة هد القلب فانصدعا

بين السيدة زينب بنت على ويزيد بعد مقتل الحسين : أرسلت السيدة زينب الى يزيد بعد مقتل الحسين :

صدق الله ورسوله يا يزيد : « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » ،أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء ، فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى . أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة ! وأن هذا لعظم خطرك ! فشمخت بأنفك ، ونظرت فى عطفك جذلان فرحا ، حين رأيت الدنيا مسوقة لك ، والأمور متسقة عليك وقد أمهلت ونفست . وهو قول الله تبارك وتعالى « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم . إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ».. أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله ﷺ قد هتكت ستورهن ، وصحلت حدوجهن (١) مكتئبات تخدى (٢) بهن الأباعر ويحدو بهن الأعادى ، من بلد إلى بلد و لا يراقبن ولا يؤوين ، يتشوفهن القريب والبعيـــد ، ليس معهن ولى من رجالهن وكيف يستبطأ فى بغضتنا من نظر إلينا بالشنف والشنآن ، والاحن والأضغان، أتقول « ليت أشياخى ببدر شهدوا غير متأثم ولامستعظم وأنت تنكت ثنايا أبى عبد الله بمخصرتك ! ولم لا تكون كذلك : وقد نكأت (٣) القرحة واستأصلت الشأفة . . باهراقك دماء ذرية محمد ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، ولتردن على الله وشيكا موردهم ، ولتودن أنك عميت وبكمت ، وأنك لم تقل : فاستهلوا وأهلوا فرحا .. اللهم خذ بحقنا ، وانتقم لنا ممن ظلمنا . والله ما فريت إلا فى جلدك ، ولا حززت إلا فى لحمك ، وستردعلى رسول الله ﷺ برغمك ، وعترته ، ولحمته فى حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ، ملمومين من الشعث. وهو قول الله تبارك وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » وستعلم من بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين ، اذا كان الحكم ، والخصم محمدا ﷺ وجوارحك شاهدة عليك بئس للظالمين بدلا ، وأيكم شر مكانا

(١) صحلت انشقت والحدوج : جمع حدج بكسر الحاء : مركب للنساء كالمحفة
(٢) من خدا البعير : أسرع (٣) نكأ القرحة : حكها قشرها .

وأضعف جندا ، مع أنى والله يا عدو الله وابن عدوه أستصغر قدرك ، واستعظم تقريعك ، غير أن العيون عبرى ، والصدور حرى ، وما يجزى ذلك أو يغنى عنا ، وقد قتل الحسين عليه السلام ، وحزب الشيطان يقربنا إلى حزب السفهاء ، ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله ، فهذه الأيدى تنظف من دمائنا ، وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الزواكى يعتامها عسلان (١) . الفلوات ، فلئن اتخذتنا مغنما ، لتتخذن مغرما ، حين لا تجد الا ما قدمت يداك ، تستصرخ يا ابن مرجانة ، ويستصرخ بك ، وتتعاوى ويتعاوى بك عند الميزان ، ووجدت أفضل زاد زودك معاوية ، قتلك ذرية محمد ﷺ ، فو الله ما اتقيت غير الله ، ولا شكواى إلا إلى الله ، فكد كيدك ، واسع سعيك وناصب جهدك ، فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت الينا أبدا ، والحمد لله الذى ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان ، فأوجب لهم الجنة ، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات ، وان يوجب لهم المزيد من فضله ، فانه ولى قدير .

يزيد بن مفرغ
المتوفى عام ٦٩ هـ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ شاعر محسن غزل من شعراء بنى أمية

لما (٢) ولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان أراد أن يستصحب يزيد ابن ربيعة ابن مفرغ ، فأبى عليه ، وصحب عباد بن زياد بن أبيه ، فقال له سعيد : أما إذا أبيت أن تصحبنى وآثرت عباداً فاحفظ ما أوصيك به : إن عباداً رجل لئيم ، فاياك والدالة عليه ، وإن دعاك اليها من نفسه ، فانها خدعة منه لك عن نفسك ، وأقلل زيارته ، فانه طرف (٣) ملول ، ولا تفاخره وإن فاخرك ، فانه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله .

---

(١) عسلان : جمع عاسل . الذئب ... واعتام الشىء اختاره .

(٢) تاريخ الطبرى ص ١٧٧ ج ٦ ، الأغانى ٥٥ ج ١٧

(٣) الطرف : من لا يثبت على صاحب

ثم دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال : استعن به على سفرك ، فان صح لك مكانك من عباد ، وإلا فمكانك عندى ممهد فأتنى .

ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلف ابن مفرغ عنه ، وخرج مع عباد بن زياد .

فلما بلغ عبيد الله (١) بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه عبادا شق عليه ؛ ولما عزم على السير إلى سجستان ، جاء عبيد الله يودعه فدعا ابن مفرغ وقال له : إنك سألت عبادا أن تصحبه وأجابك إلى ذلك وقد شق على ،

فقال له ابن مفرغ : ولم ؟ أصلحك الله ! فقال : لأن الشاعر لايقنعه من الناس مايقنع بعضهم من بعض ، لأنه يظن فيجعل الظن يقيناً ، ولا يعذر فى موضع ، وإن عباداً يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت وتكسبنا شرا وعاراً .

فقال له : لست كاظن الأمير ، وإن لمعروفه عندى لشكراً كثيراً ، وإن له عندى إن أغفل أمرى عذرا ممهداً .

قال عبيد الله : لا ، ولكن تضمن لى إن أبطأ عنك ماتحبه ألا تعجل عليه حتى تكتب إلى . قال : نعم ، قال : امض على الطائر الميمون !

فلماقدم عباد سجستان ، واشتغل بحربه مع الترك وخراجه استبطأه ابن مفرغ ولم يكتب إلى عبيد الله يشكوه كاضمن له ، ولكن بسط لسانه ، فذمه وهجاه ، وكان عباد عظيم اللحية كأنها جوالق (٢) فدخلت الريح فنفشتها ، فضحك ابن مفرغ ، وقال لرجل كان إلى جنبه :

ألا ليت اللحى كانت حشيشا   فنعلفها خيول المسلمينا (٣)

فسعى به الرجل إلى عباد ، فغضب من ذلك غضبا شديداً وقال : لا يجمل بى عقوبته فى هذه السرعة مع الصحبة لى ، وماأؤخر إلالأشفى نفسى منه .

وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال : إنى لأجد ريح الموت من عباد ، ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ، إنى كنت مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغك رأيه فى ، وجميل

---

(١) كان عبيد الله والى البصرة على عهد معاوية .

(٢) الجوالق : وعاء

(٣) كان قد أصاب الجند مع عباد ضيق فى أعلاف دوابهم .

أثره على ، وانى اخترتك عليه فلم أظفر منك بطائل ، وأريد أن تأذن لى فى الرجوع فلا حاجة لى فى صحبتك .

فقال له : أما اختيارك إياى فإنى اخترتك كما اخترتنى ، واستصحبتك حين سألتنى ، وقد أعجلتنى عن بلوغ محبتى فيك ؛ وطلبت الآن لترجع إلى قومك فتفضحنى فيهم ، وأنت على الاذن قادر بعد أن أقضى حقك ! فسكت ابن مفرغ .

ثم أجرى عباد الخيل يوما ، فجاء سابقاً ، فقال ابن مفرغ يهزأ به : سبق عباد وصلت (١) لحيته ! فبلغ ذلك عبادا ، وبلغه أنه لا يزال يسبه ويذكره ، فطلب عليه العلل ، ودس إلى قوم كان لهم عليه دين ، فأمرهم أن يقدموه اليه ، ففعلوا . فحبسه وأضر به .

ثم بعث اليه : أن بعنى الأراكة (٢) وبردا ، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أيبيع المرء نفسه أو ولده ! ثم أضر به عباد حتى باعهما عليه لرجل من أهل خراسان ، فقال ابن مفرغ حين بلغه بيعهما :

شريت بردا ولو ملكت صفقته ... لما تطلبت فى بيع له رشداً
لولا الدعى ولولا ماتعرض لى ... من الحوادث مافارقته أبداً
أما الأراك فكانت من محارمنا ... عيشاً لذيذاً وكانت جنة رغداً ؟
كانت لنا جنة كنا نعيش بها ... نغنى بها ان خشينا الأزل(٣) والنكدا
ياليتنى قبل ماناب الزمان به ... أهلى لقيت على عدوانه الأسدا
قد خاننا عيش من لم نخش عثرته ... من يأمن اليوم أمن ذا يعيش غداً
لامتنى النفس فى برد فقلت لها : ... لا تهلكى إثر برد هكذا كمدا
كم من نعيم أصبنا من لذاذته ... قلنا له — إذ تولى : ليته خلدا (٤)!

---

(١) المصلى فى الخيل : هو الذى يتلو السابق

(٢) كانت الأراكة قينة لابن مفرغ وبرد غلامه ، رباهما وكان شديد الضن بهما

(٣) الأزل : الضيق والشدة .

(٤) ذكروا : أن الاراكة وبردا حينما دخلا منزل الخراسانى قال له برد — وكان داهية أريبا — أتدرى ما اشتريت ؟ قال : نعم ، اشتريتك وهذه الجارية ، فقال : لا والله ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبدا ما حييت ! فجزع الرجل ، وقال له : كيف ذلك ؟ ويلك ! قال : نحن ابز يدبن مفرغ ، والله ماأصاره إلى هذه الحال =

ثم قال عباد لحاجبه : ما أرى هذا يبالى بالمقام فى الحبس ، فبع فرسه وسلاحه وأثاثه ، وأقسم ثمنها بين غرمائه ، ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه بقية حبسه بها .

وعلم ابن مفرغ أنه إن قام على ذم عباد وهجائه ، وهو فى محبسه ، زاد نفسه شرا ، فكان يقول للناس إذا سألوه عن حبسه ما سببه ؟ رجل أدبه أميره ليقوم من أوده ، أو يكف من غربه ، وهذا لعمرى خير من جر الأمير ذيله على مداهنة صاحبه .

فلما بلغ قوله ذلك عبادا رق له ، وأخرجه من السجن ، فهرب حتى أتى البصرة ، ثم خرج منها الى الشام ، وجعل ينتقل من مدنها هاربا ، ويهجو زيادا وولده ، وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم ، ثم تعدى ذلك إلى أبى سيفان فقذفه وسب ولده .

ولما تمادى فى ذلك جاء عباد إلى أخيه عبيد الله بالبصرة ، فوجده وافدا على معاوية ، فكتب إليه ببعض ما جاء به آل زياد وأبا سفيان .

فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية ، ثم استأذنه فى قتل ابن مفرغ ، فأبى عليه أن يقتله ، وقال : أدبه ولا تبلغ به القتل .

ثم جعل ابن مفرغ ينتقل من بلد إلى بلد ، فاذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام ، فأتى البصرة ، ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ واستجار به ، فقال له الأحنف : إنى لا أجير على ابن سمية ؛ إنما يجير الرجل على عشيرته ؛ فأما على سلطانه فلا .

= إلا لسانه وشره , أفتراه يهجو ابن زياد وهو أمير خرسان وأخوه أمير العراقين وعمه الخليفة فى أن استبطأه ويمسك عنك وقد ابتعتنى وابتعت هذه الجارية ، وهى نفسه التى بين جنبيه ! والله ما أرى أحدا أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته على منزلك ! فقال : فاشهد أنك وإياها له ، فان شئتما أن تمضيا إليه فامضيا ، وإن شئتما أن تكونا عندى فافعلا ! قال : فاكتب اليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ فى الحبس بما فعله ، فكتب إليه يشكر فعله ، وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه .

ثم أتى خالد بن عبد الله فاستجار به ، فأبى أن يجيره ، فأتى عمر بن عبيد الله فوعده ، وأتى طلحة الطلحات فوعده ، ثم أتى المنذر العبدى فأجاره ، وكان عبيدالله ابن زياد زوجها لبنته ، وكان من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك ، وأدل بموضعه منه ، وطلبه عبيد الله فقيل له : قد أجاره المنذر .

فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث بالشرط ، فكبسوا دار المنذر وأتوه بابن مفرغ ، فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه ! فقام إلى عبيدالله فكلمه فيه وقال : أذكرك الله أيها الأمير ، لا تخفر جوارى فانى قد أجرته .

فقال عبيد الله : يامنذر ، ليمدحن أباك وليمدحنك ، ولقد هجانى وهجا أبى ثم تجيره على ! والله لا يكون ذلك أبدا ، ولا أغفرها له ، فغضب المنذر ، فقال له عبيد الله : لعلك تدل بكريمتك عندى ، إن شئت والله لأبينها بتطليق البتة (١)

فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عبيدالله على ابن مفرغ ! وقال له : بئسما صحبت به عبادا فقال : بئسما صحبنى به عباد! اخترته على سعيد بن عثمان، وأنفقت على صحبته كل ما أفدته وكل ما أملكه ، ثم عاملنى بكل قبيح ، وتناولنى بكل مكروه ، من حبس وغرم ، وشتم وضرب ، فكنت كمن شام برقا خلبا فى سحاب جهام . فأراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا، وما هربت من أخيك إلا لما خفت أن يجرى فى ما يندم عليه ، وقد صرت الآن فى يدك ، فشأنك فاصنع بى ما أحببت .

فأخذ عبيد الله فى تعذيبه ، وأمر أن يطاف به ، بحالة سيئة ، وقرن بهرة وخنزيرة ، والصبيان حوله يصيحون به ويلحون عليه ، ثم رد إلى السجن ، وسقى فيه من ألوان العذاب والنكال ، فقال يذكر ما فعل به وإهمال قريش إياه :

دار سلمى بالخبت ذى الأطلال كيف نوم الأسير فى الأغلال ؟
أين منى السلام بعد نأى ؟ فارجعى لى تحيتى وسؤالى

---

(١) منصوب على المصدر ، يقال : لا أفعله البتة ، لكل أمر لا رجعة فيه .

أين منى نجائبى وجيادى — وغزالى ! سقى الإله غزالى
أين ، لا أين جنتى وسلاحى — ومطايا سيرتها لارتحالى
هدم الدهر عرشنا فتداعى — فبلينا إذ كل عيش بال
إذ دعانا زواله فأجبنا — كل دنيا ونعمة لزوال
أم قضينا حاجاتنا فإلى المو — ت مصير الملوك والاقيال
لا وصوى لربنا وزكاتى — وصلاتى أدعو بها وابتهالى
ما أتيت الغداة أمراً دنيا — ولدى الله كابر الأعمال
أيها المالك المرهب بالقتـ — ـل بلغت النكال كل النكال
فاخش نارا ترى الوجوه ويوماً — يقذف الناس بالدواهى الثقال
قد تعديت فى القصاص وأدركـ — ـت ذحولا (١) لمعشر أقتال
وكسرت السن الصحيحة منى — لا تذلنى فنكر إذلالى
وقرنتم مع الخنازير هرا — ويمينى مغلولة وشمالى
وأطلتم مع العقوبة سجنا — فكم السجن ؟ أو متى إرسالى ؟
ليت أنى كنت الحليف للخم — وجذام أو طيء الأجبال
بدلا من عصابة من قريش — أسلمونى للخصم عند النضال
خذلونى وهم لذاك دعونى — ليس حامى الذمار بالخذال
لا تدعنى ، فداك أهلى ومالى — إن حبليك من متين الحبال
حسرتا إذ أطعت أمر غواتى — وعصيت النصيح ، ضل ضلالى !

ولكن عبيد الله أرسله إلى أخيه عباد بسجستان ، فكلمت اليمانية فيه بالشام معاوية ، فأرسل رسولا إلى عباد أن يحمل إليه ابن مفرغ ، فحمل من عنده ، وقال فى طريقه :

عدس (٢) ما لعباد عليك إمارة — نجوت ، وهذا تحملين طليق
لعمرى لقد نجاك من هوة الردى — إمام وحبل للأنام وثيق
سأشكر ما أوليت من حسن نعمة — ومثلى بشكر المنعمين حقيق

(١) الذحل : الثأر .
(٢) عدس : اسم زجر البغال .

فلما دخل عل معاوية بكى وقال : ركب منى ما لم يركب من مسلم ، على غير حدث ولا جريرة ! قال : أو لست القائل :

ألا أبلغ معاوية بن حرب

وغيرها فى أشعار كثيرة هجوت بها زيادا ! اذهب فقد عفونا عن جرمك ، أما لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيء ، انطلق ، وفى أى أرض شئت فانزل . فنزل الموصل ... وتوفى عام ٦٩ هـ .

الوليد بن يزيد

المتوفى عام ١٢٦ هـ

كان الوليد من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، وكان فاسقا خليعا متهماً فى دينه مرميا بالمجون ، وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل ، وله أشعار كثيرة تدل على خبثه ، ومن الناس من ينفى ذلك عنه وينكره ويقول : إنه مختلق عليه وألصق اليه .

توفى أبوه يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة ، فلم يزل الوليد مكرما عند هشام رفيع المنزلة مدة ، ثم طمع فى خلعه وعقد العهد بعده لابنه مسلمة ، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وإدمانه على الشراب ، ويذكر ذلك فى مجلسه ويقوم ويقعد به . وولاه الحج ليظهر ذلك بالحرمين فيسقط ، فحج وظهر منه فعل كثير مذموم وتشاغل بالمغنين وبالشراب . وأمر مولى له فحج بالناس ، فلما حج طالبه هشام بأن يخلع نفسه فأبى ذلك ، فحرمه العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه ، وجفاه جفاء شديداً ، فخرج متبدياً(١) وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدبه ، وكان يرمى بالزندقة ، وحرض هشام الناس على خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام ، وكان مسلمة يكنى أبا شاكر ، وكتب إلى الوليد : ما تدع شيئا من المنكر إلا أتيته

---

(١) تبدى : أقام بالبادية .

وارتكبته غير متحاش ولا مستتر ، فليت شعرى ما دينك ! أعلى الاسلام أنت أم لا ؟ فكتب اليه الوليد :

يأيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبى شاكر
نشربها صرفا وممزوجة ... بالسخن أحياناً وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال : يعيرنى بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة ، فالزم الأدب واحضر الصلوات ، وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة ، فأظهر النسك وقسم بمكة والمدينة أموالا .

وبلغ خالداً القسرى ما عزم عليه هشام ، فقال : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ، فبلغت هشاماً عنه هذا ، فكان ذلك سببا لإيقاعه به .

ولما أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده قال الوليد :

كفرت يداً من منعم لو شكرتها ... جزاك بها الرحمن ذوالفضل والمن
رأيتك تبنى جاهداً فى قطيعتى ... ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى
أراك على الباقين تبنى ضغينة ... فياويحهم ان مت من شر ما تجنى
كأنى بهم يوماً وأكثر قولهم ... أيا ليت أنا ، حين يا ليت لا تغنى

وكتب الوليد الى هشام : بلغنى ما أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنى ومحو ما محا عن أصحابى وأنه صرمنى وأهلى ، ولم أكن أخاف أن يبتلى الله أمير المؤمنين بذلك فى ، ولا ينالنى مثله منه ، ولم يبلغ استصحابى لابن سهيل ومسئلتى فى أمره أن يجرى ماجرى ، وإنكان ابن سهيل على ماذكره أمير المؤمنين ، فبحسب العير أن يقرب من الذئب ، وعلى ذلك فقد عقد الله لى من العهد وكتب لى من العمر وسبب لى من الرزق مالا يقدر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنى دون مدته ، ولا صرفه عن مواقعه المحتومة له ، فقدر الله يجرى على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا ، لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله . والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم ، بما يستوجبون من الله العقوبة عليه ، وأمير المؤمنين أحق بالنظر فى ذلك والحفظ له ، والله يوفق أمير المؤمنين لطاعته ، ويحسن القضاء له فى الأمور بقدرته .

فكتب اليه هشام : قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع وغير ذلك ، وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجرى عليك ، ولا يتخوف على نفسه اقتراف المآثم من الذى أحدث من قطع ماقطع ومحو ما محا من صحابتك لأمرين : أماأحدهما فان أميرالمؤمنين يعلم مواضعك التى كنت تصرف فيهامايجريه عليك ، وأما الآخر فأثبات (١) صحابتك وأرزاقهم دارة عليهم لا ينالهم مانال المسلمين عند قطع البعوث (٢) عليهم، وهم معك تجول بهم فىسفهك، وأميرالمؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستئناف قطعه عنك ، وأما ابن سهيل فلعمرى لئن كان نزل منك بحيث يسوؤك ماجرى عليه لقد جعله الله لذلك أهلا ، وهل زاد ابن سهيل « لله أبوك » على أن كان زفانا (٣) مغنياقدبلغ فى السفه غايته ، وليس مع ذلك ابن سهيل بشر ممن كنت تستصحب فىالأمور التىينزه أمير المؤمنين نفسه عنها مما كانت لعمرى أهلا للتوبيخ فيه ، وأما ماذكرت مماسببه الله لك فان الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره ، ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنه لايملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضراً ولانفعاً ، وإن الله ولى ذلك منه ، وإنه لابد له من مفارقته . وإن الله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم، وإنأميرالمؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك لمن هو أهله فى الرضا به لهم ، فان بلاء الله أعظم عند أميرالمؤمنين من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره، إلا بعون منه ، ولئن كان قدر الله لأمير المؤمنين وفاة تعجيل فان فى الذى هومفض وصائر اليه من كرامة الله خلفا من الدنيا ، ولعمرى إن كتابك لأمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك ،فأبق على نفسك وقصر من غلوائها(٤)، وأربع علىظلعك(٥)،فان لله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء من عباده وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور اليه وأرضاها له .. وكتب فى أسفل الكتاب :

---

(١) جمع ثبت: وهو جريدة تكتب فيها الأسماء . (٢) البعوث جمع بعث: وهى السرايا التى ترسل لمحاربة العدو . (٣) الزفان: الرقاص . (٤) الغلواء: نشاط الشباب وسرعته . (٥) يقال : ظلع البعير إذا غمز فى مشيه ، ومعنى المثل انك ضعيف فانته عما لا تطيقه

إذ أنت سامحت الهوى قادك الهوى   إلى بعض ما فيـــه عليك مقـام

ولمـا نعى هشام للوليد فرح وقال :

طاب يومى ولذ شرب السلافه   إذ أتانا نعى من بالرصافه
وأتانا البريد ينعى هشاما   وأتانا بخاتم للخـــلافـة
فاصطبحنا من خمر عانة(١) صرفا   ولهـــونا بقينة عـزافـة

وقال :

طال ليلى فبت أسقى المداما   إذ أتانى البريد ينعى هشاما
وأتانى بحـــلة وقضيب   وأتانى بخاتم ثم قاما
فجعلت الولى من بعد فقدى   يفضل الناس ناشئا وغلاما
ذلك ابنى وذاك قرم قريش   خير قرم وخيرهم أعماما

وقال :

هلك الأحـول المشو   م فقـد أرسل المطـر
ثمت استخلف الوليـد   فقـد أورق الشـجر

وقال :

ليت هشـــاما عاش حتى يرى   مكيـاله الأوفر قـد أترعا
كلنـا له الصـاع التى كالهـا   فـــا ظلمناه بهـا أصـوعا (٢)
لم نأت ما نأتيـه عن بدعة   أحـله الفرقان لى أجمعـا

وللوليد أشعار جياد فوق هذا الشعر ، فنها — وهو مابرز فيه ، وجوده ، وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه — قوله فى صفة الخمر :

اصـدع نجى الهموم بالطرب   وانعم على الدهر بابـنة العنب
واستقبل العيش فى غضارته (٣)   لا تقف منـــه آثار معتقب
من قهـــوة زانهـا تقـادمها   فهى عجوز تعلو على الحقب (٤)

---

(١) بلد بين الرقة وهى تعد فى أعمال الجزيرة ما بين الدجلة والفرات .
(٢) جمع صاع : وهو مكيال يكال به .   (٣) الغضارة : طيب العيش .
(٤) الحقب بضمتين وبضمة فسكون : ثمانون سنة ، والدهر ، والسنة .

أشهى إلى الشرب يوم جلوتها   من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها   حتى تبدت فى منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر   وهى لدى المزج سائل الذهب
كأنها فى زجاجها قبس   تذكو ضياء فى عين مرتقب
فى فتية من بنى أمية أه   ل المجد والمأثرات والحسب
ما فى الورى مثلهم ولا بهم   منى ولا منتم لمثل أبى

ومن قوله :

إذا لم يكن خير مع الشر لم تجد   نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع
وكانوا إذا هموا باحدى هناتهم   حسرت لهم رأسى فلا أتقنع

ومن نادر شعره قوله :

فان تك قد مللت القرب منى   فسوف ترى مجانبتى وبعدى
وسوف تلوم نفسك إن بقينا   وتبلو الناس والأحوال بعدى
فتندم فى الذى فرطت فيه   إذا قايست فى ذمى وحمدى

ومن شعره :

ويح سلمى لو ترانى   لعناها (١) ما عنانى
متلفاً فى اللهو مالى   عاشقاً حور القيان
إنما أحزن قلبى   قول سلمى إذ أتانى
ولقد كنت زماناً   خالى الدهر لشانى
شاق قلبى وعنانى   حب سلمى وبرانى
ولكم لاح نصيح   فى سليمى ونهانى

ومنه :

بلغا عنى سليمى   وسلاها لى عما
فعلت فى شأن صب   دنف أشعر هما
ولقد قلت لسلمى   إذ قتلت البين علما
أنت همى يا سليمى   قد قضاه الرب حتما

---

(١) عناه الأمر من باب ضرب : عرض له وشغله وأهمه .

نزلت فى القلب قسراً   منزلا قد كان يحمى

وبعد فقد تولى الوليد الخلافة عام ١٢٥ هـ وقتل عام ١٢٦ هـ فولى بعده ابنه يزيد .

الوليد وطريح الشاعر :

وكان (١) الوليد بن يزيد يكرم طريحا (٢) ، وكانت له منه منزلة قريبة ومكانة ، وكان يدنى مجلسه ، وجعله أول داخل وآخر خارج ، ولم يكن يصدر إلا عن رأيه . فاستفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه ، فحسده ناس من أهل بيت الوليد ، وقدم حماد الراوية الشام ، فشكوا ذلك إليه ، وقالوا : والله لقد ذهب طريح بالأمير ، فما نالنا منه ليل ولا نهار ، فقال حماد : ائتونى من ينشد الأمير بيتين من شعره ، فاسقط منزلته .

فطلبوا إلى الخادم الذى كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن ينشدهما الأمير فى خلوة . فاذا سأله من قول من ذا ؟ قال : من قول طريح . فاجابهم الغلام إلى ذلك وعلموه البيتين .

فلما كان ذات يوم دخل طريح على الوليد ، وفتح الباب وأذن للناس ، فجلسوا طويلا، ثم نهضوا، وبقى طريح مع الوليد وهو ولى عهد. ثم دعا بغدائه فتغديا جميعا.

ثم إن طريحا خرج وركب إلى منزله وترك الوليد فى مجلسه ليس معه أحد . فاستلقى على فراشه ، واغتنم الغلام خلوته ؛ فاندفع ينشد :

سيرى ركابى إلى من تسعدين به   فقد أقمت بدار الهون ما صلحا
سيرى إلى سيد سمح خلائقه   ضخم الدسيعة (٣) قرم يحمل المدحا

فاصغى الوليد إلى الغلام بسمعه، وأعاد الغلام غير مرة. ثم قال الوليد : ويحك ياغلام : من قول من هذا ؟ قال : من قول طريح !

---

(١) الأغانى ص ٣١٢ ج ٤   (٢) هو طريح بن إسماعيل الثقفى ، نشأ فى دولة بنى أمية ، واستفرغ شعره فى الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بنى العباس ، ومات فى أيام المهدى سنة ١٦٥ هـ

(٣) الدسيعة : العطية . والقرم : السيد

فغضب الوليد حتى امتلأ غيظا ، ثم قال : والهفا على أم لم تلدنى ! قد جعلته أول داخل وآخر خارج ، ثم يزعم أن هشاما يحمل المدحا ، ولا أحملها .

ثم قال : على بالحاجب ، فأتاه . فقال: لا أعلم أنك أذنت لطريح، فان حاورك فى ذلك فاخطفه بالسيف!

فلما كان بالعشى وصليت العصر ، جاء طريح للساعة التى كان يؤذن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل ، فقال له الحاجب : وراءك ! فقال : مالك ! هل دخل على ولى العهد أحد بعدى . قال : لا ! ولكن ساعة وليت من عنده دعانى فأمرنى ألا آذن لك ، وإن حاورتنى فى ذلك خطفتك بالسيف !

فقال : لك عشرة آلاف وأذن لى فى الدخول عليه . فقال له الحاجب : والله لو أعطيتنى خراج العراق ما أذنت لك فى ذلك ، وليس لك من خير فى الدخول عليه فارجع . قال : ويحك ! هل تعلم من دهانى عنده؟ قال الحاجب : لاوالله لقد دخلت عليه وما عنده أحد ، ولكن الله يحدث ما يشاء فى الليل والنهار !

فرجع طريح ، وأقام بباب الوليد سنة لا يخلص (١) إليه ، ولا يقدر على الدخول عليه ، وأراد الرجوع إلى بلده وقومه . فقال : والله إن هذا لعجز بى أن أرجع من غير أن ألقى ولى العهد ، فأعلم من دهانى عنده ، ورأى أناسا كانوا له أعداء قد فرحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدثونه ، ويصدر عن رأيهم ، فلم يزل يلطف بالحاجب ويمنيه حتى قال له الحاجب : أما إذا أطلت المقام فانى أكره أن تنصرف على حالك هذه ، ولكن الأمير ، إذا كان يوم كذا وكذا دخل الحمام ثم أمر بسريره فأبرز ، وليس عليه يومئذ حجاب ، فاذا كان ذلك اليوم أعلمتك ، فتكون قد دخلت عليه وظفرت بحاجتك ، وأكون أنا على حال عذر .

فلما كان ذلك اليوم دخل الحمام وأمر بسريره فأبرز ، وجلس عليه ، وأذن للناس ، فدخلوا عليه، والوليد ينظر إلى من أقبل. وبعث الحاجب إلى طريح فأقبل وقد تتام الناس ، فلما نظر الوليد إليه من بعيد صرف عنه وجهه ، واستحيا أن يرده من بين الناس،فدنا فسلم فلم يرد عليه السلام،فقال طريح يستعطفه ويتضرع إليه:

---

(١) لا يصل .

نام الخلى من الهموم وبات لى ... ليـــل أكابده وهم مضلع
جزعا لمعتبة الوليد ولم أكن ... من قبل ذاك من الحوادث أجزع
يا بن الخلائف إن سخطك لامرئ ... أمسيت عصمته بلاء مفظع
فلأنزعن عن الذى لم تهوه ... إن كان لى ورأيت ذلك منزع
فاعطف فداك أبى على توسعا ... وفضيلة فعلى الفضيلة تتبع
فلقد كفاك وزاد ماقد نالنى ... إن كنت لى ببلاء ضر تقنع(١)

فقربه وأدناه وضحك إليه وعاد له ما كان عليه . تولى الوليد الخلافة عام ١٢٥ وقتل عام ١٢٦ هـ فتولى بعده ابنه يزيد

ذو الرمة

المتوفى فى عام ١١٧ هـ

هو غيلان بن عقبة بن بهس بن مسعود بن حارثة . وعداده فى الرباب والرباب عدى بن عبد مناة وتيم بن عبد مناة وعكل .. وسمى ذا الرمة بقوله يصف وتدا :

وغير موضوح القفا موتود ... أشعث باقى رمة التقليد
نعم فأنت اليوم كالمعمود ... من الهوى أو شبه المورود
بمى ذات المبسم المبرود ... والمقلتين وبياض الجيد

وقيل سمى به لأنه خشى عليه من المس فأتى به رجل من الحى فكتب معاذة علقت فى عنقه وشدت بحبل . وقيل سمته بذلك خرقاء التى يذكرها فى شعره ، وذلك أنه رآها وهى فى جوار على سنها فأعجبته وأدام الالتفات إليها ، ثم قال لها : ياجارية اخرزى لى هذه القربة فعلمت مراده ، فقالت له إنى خرقاء ،فولى وفى يده قطعة حبل بال فنادته ياذا الرمة إن كنت خرقاء فجاريتى صناع ، فذهب إليها ، فمضى عليه ذو الرمة ، وسماها فى شعره خرقاء فضت عليها ... وهى مى بنت عاصم وتكنى أم ثور ، وغلبت عليه حتى عرف بها فقيل غيلان مى كما قيل كثير عزة ، وأول أمره مع مى فيما حكى الاصبهانى عن أمة لأم مى قالت : كنا نازلين بأسافل الدهناء ورهط ذى الرمة مجاورون لنا فجلست مية تغسل ثيابا لها ولأمها فى بيت رث فيه خروق وهى فتاة أحسن من رأيته حين بدا ثدياها فلما فرغت لبست ثيابها وجلست عند أمها وأقبل ذو الرمة

(١) القصيدة فى الأغانى صفحة ٣١٤ ج ٤

ينشد ضالة فدخل وجلس ساعة ثم خرج فقالت مية :إنى لأرى أن هذا العذرى قد رآنى منكشفة واطلع على من حيث لاأشعرفان بنى عذرة أخبث قوم فى الأرض، فاذهبى فقصى أثره فوجدته قد تردد أكثر من ثلاثين مرة كل ذلك يدنو فيطلع عليها ثم يرجع على عقبه ثم يعود فأخبرتها بذلك ، ثم لم ينشب أن جاءنا شعره فيها من كل وجه ومكان . . وحدث أيضا بسنده عن عمارة بن ثقيف أن ذا الرمة حدثه أن أول أمره معها أنه خرج مع أخيه وابن عمه فى بغاء إبل لهم فوردوا على ماء وقد جهدهم العطش قال فأتيت خباء عظيما أستسق لهما ماء فاذا عجوز جالسة فى رواقه فالتفتت وراءها وقالت يامى اسق الغلام فدخلت عليها وهى تنسج شقة فقالت لى فقد كافك أهلك السفر على ما أرى من حداثة سنك ثم قامت تصب فى ركونى ماء وعليها شوذن فلما انحطت على القربة رأيت مرأى لم أر أحسن منه فلهوت بالنظر إليها وهى تصب الماء فيذهب يمينا وشمالا فقالت العجوز يابنى ألهتك مى عما بعثك له أهلك أما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا قلت أما والله ليطولن هيامى بها ثم أتيت بالماء أخى وابن عمى فلففت رأسى وانتبذت ناحية وقلت :

قد سحرت أخت بنى لبيد   مى ومن سلم ومن وليد

رأت غلامى سفر بعيد   يدرعان الليل ذا الصدود

مثل الذراع اليلمق الحديد

وهى أول قصيدة قلت ثم مكثت أهيم بها فى ديارها عشرين سنة ، وأما ابن قتيبة فقال: مكثت مى تسمع شعرذى الرمة ولا تراه فجعلت لله أن تنحر بدنة يوم تراه وكانت من أجمل الناس، فلما رأته دميما أسود صاحت واسوأتاه واضيعة بدنتاه فقال :

على وجه مى مسحة من ملاحة   وتحت الثياب الشين لو كان باديا

فكشفت عن جسدها وقالت :أشينا ترى لا أم لك ؟ فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه   وإن كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت له :قد رأيت ما تحت الثياب فلم يبق إلاأن أقول هلم فذق ماوراءه فوالله لاذقت ذلك أبدا ثم صلح الأمر بينهما فعادا لما كان من حبهما ... وهو شاعر مجيد مكثروصاف للاطلال والديار والصبر على قطع القفراء .وقال أبوالفرج :كان سليمان ابن أبى شيخ راوية لشعر ذى الرمة فأنشد يوما قصيدة له وأعرابى من بنى عدى يسمعه فقال أشهد انك فقيه تحسن ماتلوه ، وكان يحسبه قرآنا ، وكان أهل البادية يعجبهم شعره وكان جرير والفرزدق يحسدانه ، وقال حماد الراوية : ما أخر القوم

ذكره إلا لحداثة سنه وأنهم حسدوه ، وقال أبو المطرف : لم يكن أحدمنهم فى زمانه أبلغ منه ولا أحسن جوابا ، وكان كلامه أحسن من شعره ، وقال مولى لبنى هاشم: رأيته بسوق المربد وقد عارضه رجل فقال يا أعرابى — يهزأ به — أتشهد بما لم تر؟ قال نعم قال بماذا قال أشهد أن أباك أتى أمك . وقال الأصمعى : ما أعلم أحدا من العشاق شكا أحسن من شكوى ذى الرمة مع عفة وعقل . وقال أبو عبيدة : يخبر ذو الرمة فيحسن الخبر ، ثم يرد على نفسه فيحسن الرد ، ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن إنصاف فى الحكم وعفاف . وقال ذو الرمة: من شعرى ما ساعدنى فيه القول ومنه ما أجهدت نفسى فيه ومنه ماجننت فيه جنونا فأما الذى طاوعنى فيه القول فقولى :

خليلى عوجا فى صدور الرواحل — بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة — من الوجد أو يشفى نجى البلابل

وأما ما أجهدت نفسى فيه فقولى :

أأن توسمت من خرقاء منزلة — ماء الصبابة من عينيك مسجوم

كأنها بعد أحوال مضين لها — بالأشيمين يمان فيه تسهيم

وأما الذى جننت فيه جنونا فقولى :

ما بال عينك منها الماء منسكب — كأنه من كلا مفرية سرب

براقة الجيد واللبات واضحة — كأنها ظبية أفضى بها لبب

زين الثياب وإن أثوابها سلبت — فوق الحشية يوما زانها السلب

إذا أخو لذة الدنيا تبطنها — والبيت فوقهما بالستر محتجب

ساقت مطيبة العرنين مارنها — بالمسك والعنبر الهندى مختضب

لمياء فى شفتيها حوة لعسا — وفى اللثات وفى أنيابها شنب

كحلاء فى برج بيضاء فى دعج — كأنها فضة قد زانها ذهب

وهذه القصيدة من المطولات الجيدة البليغة وتصرف فيها ماشاء من أوصاف الأطلال والديار والثور والحمار والكلاب والظبى وغير ذلك، وفى خلاف ذلك يأتى بتشبيهات بديعات ، وهو أشعر الشعراء الاسلاميين فى التشبيه وكان يقول : إذا قلت كأن فلم أجد مخرجا فقطع الله لسانى ، وأحذى فى ذلك حذوه من المولدين ابن المعتز ... وكان ذو الرمة يكثر فى شعره من ذكر صبره على قطع الهواجر لمية مثل قوله .

وهاجرة من دون مية لم تقل ... قلوصى بها والجندب الجون يرمح
إذا جعل الحرباء مما أصابه ... من الحر يلوى رأسه ويرنح
لئن كانت الدنيا على كما أرى ... تباريح من مى فللموت أروح
ولما شكوت الحب كيما تثيبنى ... بودى قالت إنما أنت تمزح

مواقف للشعراء

— ١ —

الأحوص وعمر بن عبد العزيز

روى(١) أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز لم تكن له همة إلا عمر بن أبى ربيعة والأحوص فكتب إلى عامله على المدينة : « قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر ، فاذا أتاك كتابى هذا فاشددهما واحملهما إلى » .

فلما أتاه الكتاب حملهما اليه ، فأقبل على عمر فقال له : هيه !

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ... ولا كليالى الحج أفلتن ذا هوى
وكم مالىء عينيه من شىء غيره ... إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فاذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام فمتى يفلتون ، أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شىء غيرك ، ثم أمر بنفيه . فقال يا أمير المؤمنين أوخير من ذلك أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر أبداً وأجدد توبة على يديك . قال : أو تفعل؟ قال نعم . فعاهد الله على توبة وخلاه . ثم دعا بالأحوص فقال : هيه

الله بينى وبين قيمها ... يهرب منى بها وأتبع

بل الله بين قيمها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى دهلك (٢) فلم يزل بها .

فرحل إلى عمر عدة من الأنصار فكلموه فى أمره ، وسألوه أن يقدمه ، وقالوا له : قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه ، وقد أخرج إلى بلاد الشرك ، فنطلب منك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه . فقال لهم عمر ، من الذى يقول :

---

(١) الأغانى ص ٦٤ ج ٩

(٢) دهلك : بلدة ضيقة حارة تجاه مصوع ، كان بنو أمية إذ سخطوا على أحد نفوه إليها .

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أحير

قالوا : الأحوص قال فمن الذى يقول :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور

قالوا : الأحوص . قال فمن ذا الذى يقول :

كأن لبنى صبير (١) غادية أو دمية زينت بها البيع
الله بينى وبين قيمها يهرب منى بها وأتبع

قالوا الأحوص ، قال : والله لا أرده ماكان لى سلطان .

فمكث هناك حتى مات عمر ، وولى الأمر من بعده يزيد بن عبد الملك ، فغنته جميلة يوما :

كريم قريش حين ينسب والذى أقرت له بالملك كهلا وأمردا

فطرب يزيد وقال: ويحك ، من كريم قريش هذا، قالت: أنت يا أمير المؤمنين ومن عسى أن يكون ذلك غيرك. قال. ومن قائل هذا الشعر فى ؟ قالت : الأحوص وهو منفى.

فكتب برده وحمله إليه ، وأنفذ إليه صلات سنية ، فلما قدم إليه أدناه وقربه وأكرمه ، وقال له يوما فى مجلس حافل . والله لو تمت إلينا بحق ولاصهر ولا رحم إلا بقولك .

وإنى لأستحييكم أن يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع

لكفاك ذلك عندنا .

ولم يزل ينادمه حتى مات .

---

(١) صبير : سحابة بيضاء .

— ٢ —

عائشة بنت طلحة مع النميرى

لما تأيمت (١) عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مال (٢) لها عظيم بالطائف ، وقصر كان لها هناك فتتنزه فيه ، وتجلس بالعشيات ، فيتناضل بين يديها الرماة.

فمر بها النميرى (٣) الشاعر ، فسألت عنه فنسب لها ، فقالت : ائتونى به فأتوها به . فقالت له : أنشدنى مما قلت فى زينب (٤) ، فامتنع عليها وقال : تلك ابنة عمى ، وقد صارت عظاما بالية ، قالت : أقسمت عليك بالله إلا فعلت ، فأنشدها قوله :

تضوع مسكا بطن نعمان (٥) إذ مشت ... به زينب فى نسوة عطرات
تهادين ما بين المحصب (٦) من منى ... وأقبلن لا شعثا ولا غبرات
أعان الذى فوق السموات عرشه ... مواشى بالبطحاء مؤتجرات (٧)
مررن بفخ (٨) ، ثم رحن عشية ... يلبين للرحمن معتمرات
يخبئن أطراف البنا من التقى ... ويقتلن بالالحاظ مقتدرات
تقسمن لبى يوم نعمان إننى ... رأيت فؤادى عارم (٩) النظرات
جلون وجوها لم تلحها سمائم ... حرور ولم يسفعن بالسبرات (١٠)

---

(١) راجع الاغانى ص ٢٣٠ ج ٦
تأيمت المرأة : إذا مات عنها زوجها ولم تتزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر فهلك عنها ، فتزوجها بعده مصعب ابن الزبير فقتل عنها ، ثم تزوجها عمر بن عبد الله بن معمر ، فمات عنها ، فلم تتزوج بعده ، توفيت سنة ١١٠ هـ (٢) المال : ماملك من كل شىء (٣) هو محمد بن عبد الله من ثقيف ، شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الاموية توفى سنة ٩٠ هـ

(٤) هى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج الثقفى ، وللنميرى فيها أشعار كثيرة : شبب بها فى حياتها ، ورثاها بعد موتها (٥) نعمان : موضع بين مكة والطائف (٦) المحصب : موضع بين مكة ومنى (٧) مؤتجرات : طالبات للأجر (٨) فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال (٩) عارم : النظرات شديدها (١٠) لاحته الشمس : لفحته وغيرت وجهه ، والسمائم : جمع سموم وهى ريح حارة ، وسفعته : غيرته ، والسبرات : جمع سبرة وهى شدة البرد

ولما رأت ركب النميرى راعها وكن من ان يلقينه حذرات
فأدنين، حتى جاوز الركب، دونها حجابا من القسى(١) والحبرات
فكدت، اشتياقا نحوها وصبابة، تقطع أنفاسى اثرها حسرات
فراجعت نفسى والحفيظة بعدما بللت رداء العصب(٢) بالعبرات(٣)

فقالت: والله ماقلت إلا جميلا، ولا ذكرت إلا كرما وطيبا، ولا وضعت إلا دينا وتقى، أعطوه ألف درهم.

فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها، فقالت: على به، فأحضر. فقالت له: أنشدنى من شعرك فى زينب، فقال لها: أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد فيك؟ فوثب مواليها إليه, فقالت: دعوه فانه أراد أن يستقيد(٤) لبنت عمه، هات مما قال الحارث فى فأنشدها(٥):

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدا بلبك مطلع الشرق
فى البيت ذى الحسب الرفيع ومن أهل التقى والبر والصدق
ما صبحت أحــداً برؤيتها إلا غداً بكواكب الطلق(٦)

فقالت: والله ما ذكر إلا جميلا، ذكر أنى إذا صبحت زوجى بوجهى غدا بكواكب الطلق، وأنى غدوت مع أمير تزوجنى إلى الشرق، وإنى أحسن الخلق فى البيت ذى الحسب الرفيع، أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين، ولا تعد لإتياننا بعد هذا يانميرى!

---

(١) القسى: نوع من الثياب، والحبرات: ضرب من برود اليمن

(٢) العصب: برود يصبغ غزلها ثم تنسج (٣) روى أن هذه القصيدة حينما بلغت عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج: قد بلغنى قول الخبيث فى زينب، فاله عنه، وأعرض عن ذكره، فانك إن أدنيته أو عاتبته أطمعته، وإن عاقبته صدقته، (٤) يأخذ بثأرها (٥) قال الحارث بن خالد هذه الأبيات حين تزوج مصعب بن الزبير عائشة. ورحل بها إلى العراق. والحارث بن خالد: أحد شعراء قريش المعدودين الغزولين، وكان يذهب مذهب عمر بن أبى ربيعه فى شعره، لايتجاوز الغزل إلى المديح والهجاء إلا نادرا (٦) يقال: يوم طلق أى مشرق معتدل، وهو يريد: أن من تصبحه برؤيتها يرى اليوم طيبا سعيداً.

٣

أبو النجم وهشام بن عبد الملك

ورد (١) أبو النجم (٢) على هشام بن عبد الملك فى الشعراء ، فقال لهم هشام صفوا لى إبلا فقطروها وأوردها وأصدروها حتى كأنى أنظر إليها ، فأنشدوه وأنشده أبو النجم :

الحمد لله الوهوب المجزل

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال : « وهى على الأفق كعين . . . » وأراد أن يقول « الأحول » ، ثم ذكر حولة هشام ، فلم يتم البيت ، وأرتج عليه .

فقال هشام : أجز البيت ، فقال : « كعين الأحول » وأتم القصيدة ، فأمر هشام فوجىء (٣) عنقه ، وأخرج من الرصافة ، وقال لصاحب شرطته : ياربيع إياك وأن أرى هذا ! فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل .

قال أبو النجم : ولم يكن أحد بالرصافة يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبى ، وعمرو بن بسطام التغلبى ، فكنت آتى سليما فأتغدى عنده ، وآتى عمراً فأتعشى عنده ، وآتى المسجد فأبيت فيه :

قال : فاهتم هشام ليلة ، وأمسى لقس النفس ، وأراد محدثاً يحدثه ، فقال لخادم له : أبغنى محدثاً أعرابياً يروى الشعر :

فخرج الخادم إلى المسجد فاذا هو بأبى النجم ، فضربه برجله ، وقال له : قم

---

(١) الكامل ص ٣٩ ج ٢ ، الأغانى ص ١٤٥ ج ١٠ ، رغبة الآمل ص ٢٢٩ ح ٦

(٢) اسمه الفضل بن قدامة أحد رجال الاسلام الفحول المقدمين ، وفى الطبقة الأولى منهم توفى سنة ١٢٠ .

(٣) وجىء . وجأه باليد وبالسكين إذا ضربه .

أجب الأمير . قال : إنى رجل غريب : قال : إياك أبغى ، فهل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله .

فأقبل به حتى أدخله القصر ،وأغلق الباب ، قال : فأيقن بالشر ، ثم مضى به ، فأدخله على هشام فى بيت صغير ، والشموع بين يدية تزهر (١) .

فلما دخل قال له هشام : أبو النجم : قال : نعم يا أميرالمؤمنين طريدك ! قال : اجلس ، فسأله وقال له . أين كنت تأوى ، ومن كان ينزلك ، فأخبره الخبر . قال ، وكيف اجتمعاً لك ، قال ، كنت أتغدى عند هذا ، وأتعشى عند هذا ، قال وأين كنت ، تبيت قال . فى المسجد حيث وجدنى رسولك . قال . ومالك من الولد والمال ، قال . أما المال فلا مال لى ، وأما الولدفلى ثلاث بنات وبنى يقال له شيبان .

فقال . هل زوجت من بناتك أحدا ، قال : نعم ، زوجت اثنتين ، وبقيت واحدة تجمز (٢) فى أبياتنا كأنها نعامة .

قال ، وما وصيت به الأولى ، قال :

أوصيت من برة (٣) قلبا حرا بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمى ضربا لهـا وجرا حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهبا ودرا والحى عميهم بشر طرا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال قلت :

سبى الحماة وابهتى (٤) عليها وإن دنت فازدلفى إليها
وأوجعى بالفهر (٥) ركبتيها ومرفقيها واضربى جنبيها
وظاهرى النذر لهـا عليها لا تخبرى الدهر به ابنتيها

---

(١) تزهر : تتلألأ (٢) تجمز ، تعدو وتسرع .

(٣) كان اسمها برة .

(٤) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه ما لم يفعل

(٥) الفهر . الحجر يملأ الكف

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه . فقال : ويحك ! ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين قال فما قلت للثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يابنتى فانى ذاهب　　أوصيك أن تحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب　　لا يرجع المسكين وهو خائب
ولاتنى أظفارك السلاهب (١)　　منهن فى وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج بئس الصاحب

قال : فكيف قلت هذا ولم تتزوج ؟ وأى شىء قلت فى تأخير تزويجها قال قلت فيها :

كأن ظلامة أخت شيبان　　يتيمة ووالدها حيان
الرأس قمل كله وصئبان (٢)　　وليس فى الرجلين إلا خيطان
فهى التى يذعر منها الشيطان

فقال هشام لحاجبه : ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها ؟ قال هى عندى ، ووزنها خمسمائة ! قال : فادفعها إلى أبى النجم ؛ ليجعلها فى رجلى ظلامة مكان الخيطين !

— ٤ —

عمر بن عبد العزيز ووفود الشعراء

لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وفد الشعراء إليه ، وأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم . فبينما هم كذلك إذ مر بهم رجاء بن حيوة — وكان جليس عمر . فلما رآه جرير داخلا قام إليه وأنشده :

يا أيها الرجل المرخى عمامته　　هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل عليه ولم يذكر له شيئاً من أمرهم . ثم مر بهم عدى بن ارطأة . فقال جرير أبياتاً آخرها قوله :

---

(١) السلاهب : الطويلة .

(٢) الصئبان : الصؤابة : بيضة القمل جمعه صئبان .

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة قد طال مكثى عن أهلى وأوطانى

فدخل عدى على عمر فقال : « يا أمير المؤمنين ، الشعراء ببابك ، وسهامهم مسمومة ، وأقوالهم نافذة » . قال : « ويحك يا عدى ! مالى وللشعراء ؟ » قال : أعزالله أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ قد امتدح وأعطى ، ولك فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة . قال : كيف ؟ قال : امتدحه العباس بن مرداس السلمى فأعطاه حلة فقطع لسانه قال : أو تروى من قوله شيئاً ؟ قال :

« رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتاباً جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان أمراً مدلساً وأطفأت بالإسلام ناراً تضرماً
فمن مبلغ عنى النبى محمداً وكل امرىء يجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه وكان قديماً ركنه قد تهدما »

فقال عمر : « ويلك يا عدى ! من بالباب منهم ؟ » قال : الفرزدق قال : أليس هو الذى يقول :

هما دليانى من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا أحى فيرجى أم قتيل نحاذره ؟

لا يدخل على والله ، فمن بالباب سواه ؟ قال : « الأخطل » قال : « ياعدى ! هو الذى يقول :

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزاجر عيساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتا عتيقا بمكة أبتغى فيه صلاحى
ولست بقائم بالليل أدعو قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على وهو كافر أبداً فمن بالباب سوى من ذكرت ؟ » قال : « الأحوص » : « أليس هو الذى يقول :

الله بينى وبين سيدها يفر منى بها وأتبعه ؟

فما هو بدون من ذكرت ، فمن هنا أيضا ؟ قال : « جرير » . قال : أما هو الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعى بسلام

إن كان ولا بد فهو الذى يدخل فلما مثل بين يديه قال :
يا جرير : اتق الله ولا تقل إلا حقاً فأنشده قصيدته الرائية المشهورة التى منها :

إنا لنرجو إذا ماالغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدراً ... كما أتى ربه موسى على قـــدر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هـــذا الأرمل الذكر
الخير ما دمت حيـــا لا يفارقنا ... بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال : يا جرير ، ما أرى لك فيما ها هنا حقاً ، قال : « بلى يا أمير المؤمنين . إنى ابن سبيل ومنقطع » . فقال له : « ويحك يا جرير قد ولينا هذا الأمر ولا نملك إلا ثلثمائة درهم ، فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله . يا غلام ! أعطه المائة الباقية » .

فأخذها جرير وقال : « والله لهى أحب مال اكتسبته » . ثم خرج « فقال له الشعراء : « ما وراءك ؟ » فقال : « ما يسوؤكم ؟ خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء ؛ وإنى عنه راض » . وأنشد

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطانى من الجن راقياً »

من الشعراء الأمويين

النعمان بن بشير — م ٦٥ هـ ، ويزيد بن مفرغ م ٦٩ هـ وابن قيس الرقيات م ٧٥هـ ، وقطرى م ٧٩ هـ ، وعمران بن حطان م ٨٣ هـ ، ومسكين الدارى م ٩٠ هـ ، والراعى م ٩٠ هـ ، والأخطل م ٩٥ هـ ، وأعشى ربيعة م ٨٥ هـ ، والطرماح م ١٠٠ هـ ، وزياد الأعجم م ١٠٠ هـ ، وجرير م ١١٠ هـ ، والفرزدق م ١١١ هـ ، وحمزة بن بيض م ١٢٠ هـ ، ويزيد بن الطثرية م ١٢٦ هـ ، والكميت م ١٢٦ هـ ، وأبو النجم م ١٣٠ هـ والأحوص م ١٠٥ هـ

ومنهم: شبيب بن البرصاء ، وجبيهاء الأشجعى ، والمرار بن منقذ وقد عاصر جريرا

أعلام الخطباء والكتاب والأدباء

الحجاج بن يوسف الثقفى

٤١ — ٩٥ هـ

هو الحجاج بن يوسف أبو محمد الثقفى إمام من أئمة البلاغة وعلم من أعلام الخطابة فى العصر الأموى وأحد ساسة الدولة الأموية الأفذاذ الذين خلد ذكرهم التاريخ .

ولد عام ٤١ هـ بالطائف ونشأ بها ، وقبيلته ثقيف (١) من اشهر القبائل بالطائف وأبوه يوسف بن الحكم من مشايخ ثقيف ورجالها وأمه الفارعة مطلقة الحارث ابن كلدة طبيب العرب والطائف بلد الحجاج مصيف الحجاز جيدة الهواء كثيرة الفواكه والزروع والمياه .

نشأ الحجاج وسط هـذه البيئة وعاش بين قبيلته يتزود بزاد واسع من البلاغة والفطرة الأدبية السليمة يعد نفسه للمستقبل المرموق المجهول . وكان اسمه كليبا فسمى نفسه الحجاج أنفة من هذه التسمية . وكان الحجاج من صغره مشهوراً بالغلظة والصلابة والقوة . وكان يعيش فى عصر متلاطم الثورات والحروب والخلافات السياسية والدينية والاجتماعية والأدبية وهو عصر قيام الدولة الأموية بأحداثه وحروبه وخصوماته فأورثه ذلك تعودا على النزال والنضال والطعان ومرانا على الحرب والضرب .

يروى أن عبد الملك بن مروان لمـا رأى انحلال العسكر وتثاقلهم فى الجهاد والجلاد وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله شكا ذلك إلى روح بن زنباع فقال له إن فى شرطتى رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر العسكر لأرحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف ، قال فأنا قلدناه فأصبح لا يتخلف أحد عن الرحيل إلا أعوان ولى نعمته روح بن زنباع فوقف الحجاج عليهم — وقد أرحل الناس وهم على الطعام يأكلون — وقال ما منعكم أن ترحلوا: فقالوا له : انزل يا ابن اللخناء فكل معنا . فقال لهم هيهات ذهب ما هنالك . فجلدهم بالسياط وطوفهم

---

(١) من أعلام قبيلة ثقيف محمد بن القاسم الثقفى (٧٣ — ٩٦ هـ) الشاب الذى فتح السند وقاد الجيوش وهو فى سن السابعة عشرة من عمره .

فى العسكر وأمر بفساطيط روح بن زنباع فأحرقت بالنار . فدخل روح على عبد الملك شاكياً وقال يا أمير المؤمنين إن الحجاج الذى كان فى شرطتى ضرب غلمانى وأحرق فساطيطى ، فقال على به ، فلما دخل عليه قال له ما حملك على ما فعلت ؟ قال أنا ما فعلت ، قال ومن فعل قال أنت والله فعلت إنما يدى يدك وسوطى سوطك وما على أمير المؤمنين أن يخلف روحا عوض الفسطاط فساطيط وعوض الغلام غلامين ولا يكسرنى فيما قدمنى له . فأعجب به عبد الملك وأخاف لروح ما ذهب له وتقدم الحجاج فى منزلته وكان ذلك أول ما عرف من كفايته ثم جعل يتقدم فى المراتب ويسود أقرانه ، وقد زاد إعجاب عبد الملك به حين بلغه مخالفته رئيسه رجاء ابن حيوة فى الصلاة مع زفر بن الحارث بقراقسيا وقال لا أصلى مع منافق خارج على أمير المؤمنين ، فكان ذلك سبباً فى ولايته تبالة (١) ولكنه لم يدخلها ويروى أن الحجاج لما قرب منها سأل عنها فقيل له هى وراء هذه الأكمة فقال أف لبلدة تسترها أكمة ورجع إلى عبد الملك . وأقام ملازماً خدمته ،

ثم ندبه الخليفة للقضاء على ثورة ابن الزبير فى الحجاز فقضى عليها بقسوة وفظاعة وشدة لا مثيل لها وصلب عبد الله بن الزبير تجاه المسجد الحرام عام ٧٣ هـ فكافأه عبد الملك بولاية الحجاز وظل والياً عليه إلى عام ٧٥ هـ .

ثم اضطرب الأمر على عبد الملك فى العراق فندبه الخليفة لدعم ملك بنى أمية فى هذه البلاد الثائرة فذهب إلى الكوفة وخطب فيها خطبته المشهورة ثم ذهب إلى البصرة ليوعد الناس وينذرهم وأخذ يجالد الثائرين والخوارج ويعسف بالحربات حتى مهد الأمر لبنى أمية

وبنى الحجاج عاصمة له فى واسط بالعراق ووفد اليه الأدباء والشعراء وتشبه بالملوك وأرسل العمال إلى الأقاليم حتى توفى عام ٩٥ هـ .

وليس للحجاج نظير فى طغيانه وجبروته وبطشه ومن مآثره اهتمامه بوضع الشكل والنقط للمصحف الشريف ونسخه عدة مصاحف من مصحف عثمان وإرسالها إلى الأمصار . وكان يهتز للشعر ويطرب به وتحركه البلاغة والأريحية . وكان آية فى البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة ، قال الأصمعى : أربعة لم يلحنوا فى جد

---

(١) بلدة فى تهامة على طريق اليمن .

ولاهزل : الشعبي وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، وابن القرية والحجاج أفصحهم ، وقال مالك بن دينار ما رأيت أحدا أبين من الحجاج انه كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم اليه ، إنى لأحسبه صادقا وأظنهم كاذبين .

ومع بلاغته وفصاحته فقد نسب إليه بعض اللحن ، روى أن الحجاج قال للشعبي كم عطاءك فى السنة قال ألفين قال ويحك كم عطاؤك قال ألفان — قال وكيف لحنت أولا — قال لحن الأمير فلحنت فلما أعرب أعربت ، ولم يكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه فأكون كالمقرع له والمستطيل عليه بفضل القول ، وروى أيضاً أن الحجاج قال ليحيى بن يعمر أتسمعنى ألحن قال فى حرف واحد قال فى أى قال فى القرآن قال ذلك أشنع . ثم قال له ما هو قال تقول (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله) فتقرأ أحب بالرفع قال الحجاج لاجرم أنك لا تسمع لى لحنا بعد هذا ثم ألحقه بخراسان .

وللحجاج خطب كثيرة فى نهاية البلاغة والروعة والفصاحة . وله رسائل كثيرة تمتاز بقوتها ومتانتها وشدة أسرها .

الحجاج والغضبان :

سأل الحجاج يوماً الغضبان (١) بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها ، قال له : من أكرم الناس ؟ قال : أفقههم فى الدين ، وأصدقهم لليمين ، وأبذلهم للمسلمين . وأكرمهم للمهانين ، وأطعمهم للمساكين .

قال : فمن ألأم الناس ؟ قال : المعطى على الهوان ، المقتر على الإخوان ، الكثير الألوان.

قال : فمن شر الناس ؟ قال : أطولهم جفوة ، وأدومهم صبوة ، وأكثرهم خلوة ، وأشدهم قسوة .

قال : فمن أشجع النـــاس ؟ قال : أضربهم بالسيف ، وأقراهم للضيف ، وأتركهم للحيف (٢) .

---

(١) الغضبان بن القبعثرى من أشراف العراق ، وكانت من دعاة المروانية أيام حرب عبد الملك بن مروان مع مصعب بن الزبير (٢) الحيف : الجور والظلم

قال : فمن أجبن الناس ؟ قال : المتأخر عن الصفوف ، المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف ، المحب ظلال السقوف ، الكاره لضرب السيوف .

قال : فمن أثقل الناس ؟ قال : المتفنن فى الملام ، الضنين بالسلام ، المهذار (١) فى الكلام ، المقبقب (٢) على الطعام

قال : فمن خير الناس ؟ قال : أكثرهم إحساناً ، وأقومهم ميزاناً ، وأدومهم غفراناً ، وأوسعهم ميداناً .

قال : لله أبوك ! فكيف يعرف الرجل الغريب ؛ أحسيب هو أم غير حسيب قال : أصلح الله الأمير : إن الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله ، وشمائله وعزة نفسه ، وكثرة احتماله ، وبشاشته ، وحسن مداراته ، على أصله : فالعاقل البصير بالأحساب يعرف شمائله ، والنذل الجاهل يجهله ؛ فمثله كمثل الدرة ، إذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها ، وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها ؛ فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة .

فقال الحجاج : لله أبوك ! فما العاقل ؟ وما الجاهل ؟ قال : أصلح الله الأمير ؛ العاقل الذى لا يتكلم هذراً ، ولا ينظر شزراً ، ولا يضمر غدراً ، ولا يطلب عذراً ، والجاهل هو المهذار فى كلامه و المنان بطعامه ، الضنين بسلامه ، المتطاول على إمامه ، الفاحش على غلامه .

قال : لله أبوك ! فما الحازم الكيس ؟ قال : المقبل على شأنه ، التارك لما لا يعنيه .

قال : فما العاجز ؟ قال : المعجب بآرائه ، الملتفت إلى ورائه .

قال : هل عندك من النساء خبر ؟ قال : أصلح الله الأمير ؛ إنى بشأنهن خبير ؛ إن النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع إن عدلتها انكسرت ، ولهن جوهر لا يصلح إلا على المداراة ، فمن داراهن انتفع بهن ، وقرت عينه ، ومن شاورهن كدرن عيشه ، وتكدرت عليه حياته ، وتنغصت لذاته ؛ فأكرمهن أعفهن ، وأفخر أحسابهن العفة ؛ فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة .

فقال له الحجاج : يا غضبان ، إنى موجهك إلى ابن الأشعث وافداً ، فماذا أنت قائل له ؟ قال : أصلح الله الأمير ، أقول ما يرديه (٢) ويؤذيه ويضنيه ! فقال ؛

---

(١) المهذار : كثير الهذيان ، وأهذر فى كلامه : أكثر (٢) قبقب الرجل : حمق
(٣) أرداه : أهلكه

إنى أظنك لا تقول له ماقلت ، وكأنى بصوتك يجلجل فى قصرى هذا ! قال : كلا ، أصلح الله الأمير ، سأحدد له لسانى ، وأجريه فى ميدانى .

فعند ذلك أمره بالمسير إلى كرمان ، فلما توجه إلى ابن الأشعث ، بعث الحجاج عينا عليه — وكان يفعل ذلك مع جميع رسله .

فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له : إن الحجاج قد هم بخلعك وعزلك ؛ فخذ حذرك ، وتغد به قبل أن يتعشى بك ! فأخذ حذره عند ذلك ، ثم أمر للغضبان بجائزة سنية ، وخلع فاخرة ، فأخذها وانصرف راجعاً .

فأتى إلى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ — وهى رملة شديدة الرمضاء (١) فضرب قبته فيها ، وحط عن رواحله ، فبينما هو كذلك إذا بأعرابى من بنى بكر ابن وائل ، قد أقبل على بعير ، قاصداً نحوه ، وقد اشتد الحر ، وحميت الغزالة (٢) وقت الظهيرة ، وقد ظمى ظمأ شديداً ؛ فقال : السلام عليك ورحمة وبركاته ،

فقال الغضبان : هذه سنة وردها فريضة ، قد فاز قائلها ، وخسر تاركها ، ما حاجتك يا أعرابى ؟ فقال : أصابتنى الرمضاء ، وشدة الحر والظمأ ، فتيممت قبتك أرجو بركتها .

قال الغضبان . فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم ؟

قال : أيتهن تعنى ؟ قال : قبة الأمير ابن الأشعث : قال : تلك لا يوصل إليها ! قال : إن هذه أمنع منها : فقال الأعرابى ما اسمك يا عبد الله ؟ قال : آخذ ، فقال : وما تعطى ؟ قال : أكره أن يكون لى اسمان !

قال : بالله من أين أنت ؟ قال : من الأرض : قال : فأين تريد ؟ قال : أمشى فى مناكبها (٣) ! فقال الأعرابى — وهو يرفع رجلا ، ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر ؟ قال : إنما يقرض الفأر ؟ فقال : أفتسجع ؟ قال : إنما تسجع الحمامة ! فقال : يا هذا ائذن لى أن أدخل قبتك ! قال : خلفك أوسع لك ! فقال : قد أحرقنى حر الشمس ! قال : مالى عليها من سلطان ! فقال : إنى لا أريد طعامك ، ولا شرابك ، قال : لا تتعرض لما لا تصل إليه ، ولو تلفت روحك !

---

(١) الرمض : وقع الشمس على الرمل وغيره (٢) الغزالة : الشمس
(٣) المنكب : ناحية كل شىء .

فقال الأعرابى : سبحان الله ! قال : نعم من قبل أن تطلع أضراسك ! فقال : ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، هراوة أضرب بها رأسك ! فاستغاث الأعرابى ، يا جار بنى كعب :

قال الغضبان : بئس الشيخ أنت : فوالله ما ظلمك أحد فتستغيث !

فقال الأعرابى : ما رأيت رجلا أقسى منك ؛ أتيتك مستغيثاً فحجبتنى وطردتنى، هلا أدخلتنى قبتك وطارحتنى القريض ! قال : مالى بمحادثتك من حاجة !

فقال الأعرابى : بالله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الغضبان بن القبعثرى قال : اسمان منكران ، خلقا من غضب ، قال : قف متوكئاً على باب قبتى برجلك هذه العوجاء ! فقال قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك هذه الشنعاء !

قال الغضبان : لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك : لأن رجلى فى الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة .

فقال الأعرابى : إنى لأظن عنصرك فاسداً . قال : ما أقدرنى على إصلاحه : فقال الأعرابى : لا أرضاك ولا حياك ، ثم ولى وهو يقول :

لا بارك الله فى قوم تسودهم　　إنى أظنك ـ والرحمن ـ شيطاناً

أتيت قبتـــه أرجو ضيافته　　فأظهر الشيخ ذو القرنين حرماناً

فلما قدم الغضبان على الحجاج ـ وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الأشعث وبين الأعرابى ـ قال له الحجاج : يا غضبان ، كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال : أصلح الله الأمير ، أرض يابسة . الناس بها ضعاف ؛ إن كثروا جاعوا ، وإن قلوا ضاعوا .

فقال له الحجاج : ألست صاحب الكلمة التى بلغنى أنك قلتها لابن الأشعث : تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك ؟ فوالله لأحبسنك عن الوساد ، ولأنزلنك عن الجياد ، ولأشهرنك فى البلاد !

قال الأمان أيهـــا الأمير ؛ فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له !

فقال له : ألم أقل لك : كأنى بصوتك يجلجل فى قصرى هـــذا : اذهبوا به إلى السجن .

فذهبوا به ، فقيد وسجن؛ فمكث ما شاء الله .

ثم إن الحجاج ابتنى الخضراء بواسط ، فأعجب بها فقال لمن حوله : كيف ترون قبتى هذه وبناءها ؟ فقالوا : أيها الأمير إنها حصينة مباركة ، منيعة نضرة بهجة ، قليل عيبها ، كثير خيرها ، قال : لم لم تخبرونى بنصح ؟ قالوا : لا يصفها لك إلا الغضبان :

فبعث إلى الغضبان فأحضره ، وقال له : كيف ترى قبتى هذه وبناءها ؟ قال : أصلح الله الأمير . بنيتها فى غير بلدك ، لا لك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت بباق :

فقال الحجاج قد صدق الغضبان ، ردوه إلى السجن .

فلما حملوه قال : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (١) » .

فقال : أنزلوه ، فلما أنزلوه قال : « رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » .

فقال : اضربوا به الأرض ، فلما ضربوا به الأرض قال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » .

فقال : جروه فاقبلوا يجرونه ، وهو يقول : « بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم » .

فقال الحجاج : ويلكم ! اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثاً ، ثم عفا عنه ، وأنعم عليه ، وخلى سبيله .

الحجاج والشعبي :

قال الشعبي : لما انهزم ابن الأشعث (٢) ضاقت بى الأرض (٣) ، وكرهت ترك عيالى وولدى ، فلقيت يزيد بن أبى مسلم ، وكان لى صديقا ، وكانت الصداقة تنفع عنده فقلت له : قد عرفت الحال بينى وبينك ، وقد صرنا إلى ما ترى ! قال : يا أبا عمرو

---

(١) مقرنين : مطيقين

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذى خرج على الحجاج ، وخرج معه القراء والعلماء

(٣) العقد الفريد ص ١٥١ ج ١ ، ذيل الأمالى ص ٢٢٠ طبعة المطبعة الأميرية ، مروج الذهب ص ٥٧٣ ج ٢

إن الحجاج لا يكذب ولا يعوى (١) ولا ينبح ، ولكن قم بين يديه ، وأقر بذنبك واستشهدنى على ما شئت .

فوالله ماشعر الحجاج إلا وأنا ماثل بين يديه ! فقال : أعامر ؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير . قال : ألم أقدم العراق فأحسنت إليك وأدنيتك ، وأوفدتك على أمير المؤمنين ، واستشرتك ؟ قلت : بلى أيها الأمير .

قال فأين كنت من هذه الفتنة ؟ قلت : استشعرنا الخوف ، واكتحلنا السهر وأحزن بنا المنزل ، وأوحش بنا الجناب ، وفقدنا صالح الاخوان ، وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء . وهذا يزيد بن أبى مسلم قد كان يعرف عذرى وكنت أكتب إليه .

فقال : صدق ، أصلح الله الأمير ! قد كان يكتب إلى بعذره ويخبرنى بحاله .

فقال الحجاج : فهذا الأحمق ضربنا بسيفه ، ثم جاءنا بالأكاذيب . كان وكان ، انصرف إلى أهلك راشدا .

الحجاج وأنس بن مالك (٢) :

حدث سعيد بن جويرية قال : خرجت خارجة على الحجاج بن يوسف ، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يخرج معه فأبى فكتب إليه يشتمه ... فكتب أنس بن مالك إلى عبد الله بن مروان يشكوه ، وأدرج كتاب الحجاج فى جوف كتابه .

قال إسماعيل بن عبد الله : بعث إلى عبد الملك بن مروان فى ساعة لم يكن يبعث إلى فى مثلها ، فدخلت عليه وهو أشد ما كان حنقا وغيظا ! فقال : يا إسماعيل ؛ ما أشد أن تقول الرعية : ضعف أمير المؤمنين وضاق ذرعه فى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له سيئة !

فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتب إلى يذكر أن الحجاج قد أضر به وأساء جواره ، وقد كتب فى ذلك كتابين: كتابا إلى أنس بن مالك والاخر إلى الحجاج فاقبضهما ثم خرج على البريد فاذا وردت العراق فابدأ بانس بن مالك ، وادفع إليه كتابى ، وقل له

---

(١) يريد أنه لا يتكلم بخير ولا شر (راجع اللسان مادة نبح) .

(٢) العقد الفريد ص ٢٤٢ ج ٣ ، صبح الأعشى ص ٣٥٩ ج ٦ ، غرر الخصائص ص ٧٣

اشتد على أمير المؤمنين ماكان من الحجاج إليك ، ولن يأتى إليك أمر تكرهه ان شاء الله . ثم ائت الحجاج ، فادفع إليه كتابه وقل له اغتررت بامير المؤمنين غرة لا أظنه يخطئك شرها . ثم افهم ما يتكلم به وما يكون منه حتى تفهمنى إياه إذا قدمت على إن شاء الله .

قال إسماعيل : فقبضت الكتابين وخرجت على البريد حتى قدمت العراق ، فبدأت بانس بن مالك فى منزله ، ودفعت إليه كتاب أمير المؤمنين وأبلغته رسالته فدعا له وجزاه خيرا . فلما فرغ من قراءة الكتاب قلت له يا أبا حمزة ، إن الحجاج عامل : ويقدر أن يضرك وينفعك ، فانا أريد أن تصالحه ، قال ذلك إليك لا أخرج عن رأيك .

ثم أتيت الحجاج ، فلما رآنى رحب وقال والله لقد كنت أحب أن أراك فى بلدى هذا ، قلت وأنا والله كنت أحب أن أراك ، وأقدم عليك بغير الذى أرسلت به إليك ، قال وما ذاك قلت فارقت الخليفة وهو أغضب الناس عليك ، قال ولم فدفعت إليه الكتاب ، فجعل يقرأه وجبينه يعرق ، فمسحه بيمينه ، ثم قال أركب بنا إلى أنس ، قلت له لا تفعل فانى ساتلطف به حتى يكون هو الذى يأتيك وذلك للذى أشرت عليه من مصالحتك .

والقى كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه . بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد فانك عبد طمت (١) بك الأمور فطغيت ، وعلوت فيها حتى جزت قدرك ، وعدوت طورك ، وايم الله ، لأغمزنك كبعض غمزات السيوف للثعالب ، ولأركضنك ركضة تدخل منها فى وجارك إذكر مناسب آبائك بالطائف ، إذكانو ينقلون الحجاره على أكتافهم ، ويحفرون الابار فى المناهل (٢) بأيديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة . وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جرأة منك على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله ، وعمد إلى غير محجته ، ونزل عند سخطته . وأظنك أردت أن تروزه (٣) بها لتعلم ماعنده من التغيير

---

(١) طمت : علت (٢) المناهل . جمع منهل وهو المشرب

(٣) تروزه . تجربه

والنكير فيها ، فان سوغتها مضيت قدما ، وان غصصت وليت دبراً ، فعليك لعنة الله من عبد أخيفش (١) العينين أصك (٢) الرجلين ، وايم الله ، لو أن أمير المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرما ، وانتهكت له عرضاً لبعث إليك من يسحبك ظهرا لبطن حتى ينتهى بك إلى أنس بن مالك ، فيحكم فيك بما أحب ، ولم يخف على أمير المؤمنين تبوؤك ، ولكل نبا مستقر ، وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقت إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معى إلى الحجاج ، فلما دخلنا عليه قال . يغفر الله لك أبا حمزة . عجلت باللائمة ، وأغضبت علينا أمير المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير ، فقال أنس . إنك كنت تزعم أنا الأشرار والله سمانا الأنصار ، وقلت . أنا من أبخل الناس والله يقول فينا . « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وزعمت أنا أهل نفاق والله تعالى يقول فينا « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتو » فكان المخرج والمشتكى فى ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولى من ذلك ماولاه الله،وعرف من حقنا ماجهلت ، وحفظ منا ماضيعت ، وسيحكم فى ذلك رب هو أرضى للمرضى وأسخط للمسخط ، وأقدر على الغير فى يوم لا يشوب الحق عنده الباطل ، ولا النور الظلمة ، ولاالهدى الضلالة والله لو أن اليهود أو النصارى رأت من خدم موسى بن عمران أوعيسى بن مريم يوما واحداً لرأت له مالم تروا لى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين :

فاعتذر إليه الحجاج ، وترضاه حتى قبل عذره ورضى عنه ، وكتب برضاه وقبوله عذره إلى عبد الملك بن مروان .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك : « إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد — أصلح الله أمير المؤمنين ، وأبقاه وسهل حظه وأحاطه ، ولا أعدمناه — فإن إسماعيل بن أبى المهاجر رسول أمير المؤمنين — أعز الله نصره ـ قدم على بكتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وجعلنى من كل مكروه فداءه ـ يذكر شتيمتى وتوبيخى بآبائى وتعييرى بما كان قبل نزول النعمة بى

---

(١) الخفش : ضعف البصر وضيق فى العين (٢) الصكك : أن تضرب إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أثرا .

من عند أمير المؤمنين ـ أتم الله نعمته عليه وإحسانه إليه ـ ويذكرنى أمير المؤمنين ـ جعلنى الله فداءه ـ استطالة منى على أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ . وأمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ فى قرابته من محمد رسول الله ﷺ إمام الهدى وخاتم الأنبياء أحق من أقال عثرتى ، وعفا عن ذنبى ، فأمهلنى ولم يعجلنى عند هفوتى ؛ للذى جبل عليه من كريم طبائعه ، وماقلده الله من أمور عباده ، فرأى أمير المؤمنين أصلحه الله ـ فى تسكين روعتى وإفراج كربتى ، فقدملئت رعباً وفرقاً من سطوته ، وفجاءة نقمته ، وأمير المؤمنين ـ أقاله الله العثرات ، وتجاوز له عن السيئات ، وضاعف له الحسنات ، وأعلى له الدرجات ـ أحق من صفح وعفا وتغمد (١) وتعمل وأبقى ، ولم يشمت فى عدوا مكبا (٢) ، ولاحسوداً مضبا (٣) ، ولم يجرعنى غصصا ، والذى وصف أمير المؤمنين من صنيعته إلى ، وتنويهه لى بما أسند إلى من عمله ، وأوطأنى من رقاب رعيته ، فصادق فيه ، مجزى بالشكر عليه . والتوسل منى إليه بالولاية والتقرب له بالكفاية .

وقد عاين إسماعيل بن أبى المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه ، من نزولى عند مسرة أنس بن مالك ، وخضوعى عند كتاب أمير المؤمنين ، وإقلاقه إياى ، ودخوله بالمصيبة على ، ماسيعلمه أمير المؤمنين ، فان رأى أمير المؤمنين ـ طوقنى الله بشكره ، وأعاننى على تأدية حقه ، وبلغنى إلى مافيه موافقة مرضاته ، ومد لى فى أجله ـ أن يأمر لى بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمننى من سفك دمى ، ويرد ما شرد من نومى ، ويطمئن به قلبى ، فقد ورد على أمر جليل ، خطبه عظيم ، وأمره شديد .

أسأل الله ألا يسخط أمير المؤمنين ، وأن يثبته فى حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته ، ومواليه وحشمه ، وعماله وصنائعه ، مايحمد به حسن رأيه وبعد همته : إنه ولى أمير المؤمنين ، والذاب عن سلطانه ، والصانع فى أمره والسلام » .

قال إسماعيل : فلما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال : يا كاتب ، أفرخ روع أبى محمد ، وكتب إليه بالرضا عنه .

---

(١) تغمد : ستر ما كان عنده (٢) أكب عليه : إذا أقبل ولزم
(٣) أضب : حمل الغيظ والحقد .

الحجاج عند عبد الملك :

ورحل الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، ومعه إبراهيم بن محمد بن طلحة : فلما قدم على عبد الملك سلم عليه بالخلافة ، وقال : قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز فى الشرف والأبوة ، وكمال المروءة والأدب وحسن المذهب ، والطاعة والنصيحة مع القرابة ، وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة : فافعل به يا أمير المؤمنين ما يستحق أن يفعل بمثله فى أبوته وشرفه .

فقال عبد الملك : يا أبا محمد : قد أذكرتنا حقا واجباً : ائذنوا لإبراهيم !

فلما دخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس فى صدر المجلس ، وقال له : إن أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفه منك من الأبوة والشرف ، فلا تدع حاجة فى خاصة أمرك وعامته إلا سألتها .

فقال إبراهيم : أما الحوائج التى نبتغى بها الزلفى ، ونرجو بها الثواب ، فما كان لله خالصاً ولنبيه .

ولكن لك يا أمير المؤمنين عندى نصيحة لا أجد بدا من ذكرى إياها ! قال : نعم ، قم يا حجاج .

فنهض الحجاج خجلا لا يبصر أين يضع رجله .

ثم قال له عبد الملك : قل يابن طلحة . قال : تالله يا أمير المؤمنين ، إنك عمدت إلى الحجاج ، فى ظلمه وتعديه على الحق ، وإصغائه إلى الباطل ، فوليته الحرمين ، وفيهما من فيهما من أصحاب رسول الله ، وأبناء المهاجرين والأنصار ، يسومهم (١) الخسف ، ويطؤهم بطغام (٢) أهل الشام ، ومن لا رأى له فى إقامة الحق ، ولا إزاحة الباطل .

فأطرق عبد الملك ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقال كذبت يا طلحة ، ظن فيك الحجاج غير ما هو فيك ! قم فربما ظن الخير بغير أهله !

قال ابن طلحة : فقمت وأنا ما أبصر طريقاً ، وأتبعنى حرسياً (٣) ، وقال له :

---

(١) يوليهم إياه ويريدهم عليه (٢) الطغام : أوغاد الناس (٣) الحرسى واحد حرس السلطان .

اشدد يدك به ، فما زلت جالساً حتى دعا الحجاج .

فما زالا يتناجيان طويلا ، حتى ساء ظنى ، ولا أشك أنه فى أمرى ، ثم دعا بى ، فلقينى الحجاج فى الصحن خارجاً ، فقبل بين عينى ، وقال : أحسن الله جزاءك ! فقلت فى نفسى : إنه يهزأبى ، ودخلت على عبد الملك ، فأجلسنى مجلسى الأول ، ثم قال : يابن طلحة : هل اطلع على نصيحتك أحد ؟ فقلت : لا والله ياأمير المؤمنين ، ولا أردت إلا الله ورسوله والمسلمين ، وأمير المؤمنين علم ذلك .

فقال عبد الملك : قد عزلت الحجاج عن الحرمين ، لما كرهته فيه ، وأعلمته أنك استقللت ذلك عليه ، وسألتنى له ولاية كبيرة ، وقد وليته العراقين ، وقررت له أن ذلك بسؤالك ، ليلزمه من حقك ما لا بد له من القيام به ، فاخرج معه غير ذام لصحبته !

بين الحجاج وعمر بن عبد العزيز : (١)

ودخل عمر بن عبد العزيز قبل أن يستخلف على الوليد بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عندى نصيحة ، فإذا خلا لك عقلك ، واجتمع فهمك فسلنى عنها : قال : ما يمنعك منها الآن ؟ قال : أنت أعلم إذا اجتمع لك ما أقول فانك أحق أن تفهم .

فمكث أياماً ثم قال : يا غلام ، من بالباب ؟ فقال له : ناس وفيهم عمر بن عبد العزيز ، فقال : أدخله ، فدخل عليه . فقال : نصيحتك يا أبا حفص ، فقال عمر : إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم ، وإن عمالك يقتلون ، ويكتبون : إن ذنب المقتول كذا وكذا ، وأنت المسئول عنه ، والمأخوذ به ، فاكتب إليهم : ألا يقتل أحد منهم أحداً حتى يكتب إليك بذنبه ، ثم يشهد عليه ، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك ، قال : بارك الله فيك يا أبا حفص ،

فكتب إلى الأمصار فلم يحرج (٢) من ذلك إلا الحجاج ، فانه أمضه (٣) ، وشق عليه وأقلقه ، وظن أنه لم يكتب إلى أحد غيره ، فبحث عن ذلك فقال : من

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٣٩

(٢) حرج : ضاق (٣) أمضه : أمضه : آلمه وأوجعه .

أين دهينا ؟ ومن أشار على أمير المؤمنين بهذا ؟ فأخبر أن عمر بن عبد العزيز هو الذى فعل ذلك ، فقال : هيهات ! إن كان عمر فلا نقض لأمره .

ثم إن الحجاج أرسل إلى أعرابى حرورى جاف من بكر بن وائل ، ثم قال له : ما تقول فى معاوية ؟ فنال منه : قال له : ما تقول فى يزيد ؟ فسبه ، قال : فما تقول فى عبدالملك ؟ فظلمه ، قال : فما تقول فى الوليد ؟ فقال : أجورهم حين ولاك وهو يعلم عداءك وظلمك ، فسكت عنه الحجاج وافترصها (٢) منه .

ثم بعث إلى الوليد وكتب إليه : أنا أحوط لدينى ، وأرعى لما استرعيتنى ، وأحفظ له من أن أقتل أحداً لم يستوجب ذلك ، وقد بعثت إليك ببعض من كنت أقتل على هذا الرأى ، فشأنك وإياه .

فدخل الحرورى على الوليد ، وعنده أشراف أهل الشام وعمر فيهم ، فقال له الوليد : ما تقول فى ؟ قال ظالم جائر جبار ! قال : ما تقول فى عبد الملك ؟ قال : جبار عات ، قال : فما تقول فى معاوية ؟ قال : ظالم .

فقال الوليد لابن الريان : اضرب عنقه ، فضرب عنقه ثم قام فدخل منزله ، وخرج الناس من عنده ، فقال : يا غلام ، اردد على عمر ، فرده عليه فقال : يا أبا حفص : ما تقول فى هذا ؟ أصبنا فيه أم أخطأنا ؟ فقال عمر : ما أصبت بقتله ، ولغير ذلك كان أرشد وأصوب ، كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل ، أوتدركه منيته ، فقال : شتمنى وشتم عبد الملك ، وهو حرورى ، أفتستحل ذلك ؟ قال : لعمرى ما أستحله ، لو كنت سجنته — إن بدا لك — أو تعفو عنـــه : فقام الوليد مغضباً ، فقال ابن الريان لعمر : يغفر الله لك يا أبا حفص ، لقد راددت أمير المؤمنين حتى ظننت أنه سيأمرنى بضرب عنقك ، فقال عمر : ولو أمرك كنت تفعل ؟ قال : أى لعمرى !

الحجاج مع أسير : —

وأتى (٣) الحجاج بقوم ممن خرجوا عليه ، فأمر بهم فضربت أعناقهم ، وأقيمت صلاة المغرب ، وقد بقى من القوم واحد ، فقال لقتيبة بن مسلم : انصرف به معك حتى تغدو به على

---

(١) ظلمه : نسب إليه الظلم (٢) افترصها : انتهزها .

(٣) غرر الخصائص ص ٢٠

قال قتيبة : فخرجت والرجل معى ، فلما كنا ببعض الطريق قال لى : هل لك فى خير ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إنى والله ماخرجت على المسلمين ، ولا استحللت قتالهم : ولكن ابتليت بما ترى ، وعندى ودائع وأموال ، فهل لك أن تخلى سبيلى ، وتأذن لى ، حتى آتى أهلى ، وأرد على كل ذى حق حقه ، وأوصى ، ولك على أن أرجع حتى أضع يدى فى يدك ؟ فعجبت له ، وتضاحكت لقوله ، ومضينا هنيهة ، ثم أعاد على القول ، وقال : إنى أعاهدك الله ، لك على أن أعود إليك .

فما ملكت نفسى حتى قلت له : اذهب !

فلما توارى شخصه أسقط فى يدى ، فقلت : ماذا صنعت بنفسى ؟ !

وأتيت أهلى مهموما مغموما ، فسألونى عن شأنى فأخبرتهم، فقالوا: لقداجترأت على الحجاج !

فبتنا بأطول ليلة ، فلما كان عند أذان الفجر إذا الباب يطرق ، فخرجت فاذا أنا بالرجل ، فقلت : أرجعت ؟ قال سبحان الله ! جعلت لك عهد الله على ، أفأخونك ولا أرجع ! فقلت : أما والله إن استطعت لأنفعنك ، وانطلقت به حتى أجلسته على باب الحجاج ، ودخلت !

فلما رآنى قال : يا قتيبة ، أين أسيرك قلت أصلح الله الأمير — بالباب ، وقد اتفق لى معه قصة عجيبة ، قال : ماهى ، فحدثته الحديث ، فأذن له فدخل ، ثم قال : ياقتيبة أتحب أن أهبه لك ، قلت : نعم ، قال : هو لك ! فانصرف به معك

فلما خرجت به قلت له : خذ أى طريق شئت ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : لك الحمد يا رب ، وما كلمنى بكلمة ، ولا قال لى : أحسنت ولا أسأت ، فقلت فى نفسى : مجنون والله ! فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءنى ، وقال لى : جزاك الله خيرا ، أما والله ما ذهب عنى ما صنعت ، ولكن كرهت أن أشرك مع حمد الله حمد أحد !

الحجاج والعديل :

وخرج (١) العديل(٢) بن الفرج يريد الحجاج ، فلما صار ببابه حجبه الحاجب

---

(١) الأغانى ص ٢٠ ج ١٣
(٢) العديل : شاعر مقل من شعراء الدولة الأمويه

فوثب عليه العديل ، وقال : إنه لن يدخل على الأمير — بعد رجالات قريش — من هو أكبر منى ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الكلام فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب ، فلما دخل إليه أنشأ يقول :

لئن ارتج الحجاج بالبخل بابه	فباب الفتى الأزدى بالعرف يفتح
فتى لا يبالى الدهر ما قل ماله	إذا جعلت أيدى المكارم تسنح
يداه يد بالعرف تنهب ماحوت	وأخرى على الأعداء تسطو وتجرح
إذا ما أتاه المرملون (١) تيقنوا	بأن الغنى فيهم وشيكا سيسرح
أقام على العافين (٢) حراس بابه	ينادونهم والحر بالحر يفرح
هلموا إلى سيب الأمير وعرفه	فان عطاياه على الناس تنفح

فقال له يزيد : عرضت بنا وخاطرت بدمك ، وبالله لايصل إليك وأنت فى حيز ، ثم أمر له بخمسين الف درهم ، وأمر له بأفراس ، وقال له : الحق بعلياء نجد واحذر أن تعلقك حبائل الحجاج ، أو تحتجنك محاجنه وأبعث إلى فى كل عام ، فلك على مثل هذا ، وارتحل .

وبلغ الحجاج خبره فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العديل فهرب وقال :

أخوف بالحجاج حتى كأنما	يحرك عظم فى الفؤاد مهيض
ودون يد الحجاج من أن تنالنى	بساط لأيدى الناعجات (٣) عريض
مهامه أشباه كأن سرابها	ملاء (٢) بايدى الغاسلات رحيض (٤)

ولكن الحجاج لج فى طلبه حتى لفظته الأرض ، ونبا به كل مكان هرب إليه ، فأتى بكر بن وائل ، وهم يومئذ بادون ، فشكا إليهم أمره ، وقال لهم : أنا مقتول ، أفتسلمونى هكذا وأنتم أعز العرب ! قالوا : لا والله ولكن الحجاج

---

(١) أرملوا : نفد زادهم (٢) العافى : طالب المعروف .
(٣) ناعجات : جمع الناعجة . الناقة السريعة ، أو التى تصاد عليها نعاج الوحش
(٤) الملاء : جمع ملاءة وهى الريطة

لا يراغم (١) ، ونحن نستوهبك منه ، فان أجابنا فقد كفيت ، وإن حادنا فى أمرك منعناك ، وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا .

فاقام فيهم واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى الحجاج ، فقالوا له : أيها الأمير إنا قد جنينا جميعا عليك جناية لا يغفر مثلها ، وها نحن أولاء قد استسلمنا وألقينا بايدينا إليك ، فاما وهبت فاهل ذلك أنت ، وإذا عاقبت فكنت المسلط المالك العادل ، فتبسم وقال : قد عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل ، فقاموا على أرجلهم وقالوا : مثلك أيها الأمير لا يستثنى على أهل طاعته وأوليائه فى شيء فان رأيت ألا تكدر منتك باستثناء ، وأن تهب لنا العديل فى أول من تهب ! قال : قد فعلت فهاتوه ـ قبحه الله ـ فاتوه به ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول ،

فلو كنت فى سلمى أجا وشعابها   لكان لحجاج على دليل

فقال له الحجاج : أولى لك قد نجوت وأعطاه عطاء .

بين جرير والحجاج :

وقدم جرير عليه فاكرمه وكساه وأنزل بكنفه فأقام أياما ، ثم بعث إليه بعد نومه . فلما دخل عليه قال له : إيه ياعدو الله ، علام تشتم الناس وتظلمهم . فقال جعلت فداء الأمير . إنى والله ما أظلمهم ، ولكنهم يظلمونى فأنتصر ، مالى ولابن أم غسان ، ومالى وللبعيث ، ومالى وللفرزدق ، ومالى وللاخطل حتى عدهم واحدا واحدا . فقال الحجاج : ما أدرى مالك ولهم.قال:أخبر الأمير أعزه الله : أما غسان ابن ذهيل فانه من قومى هجانى وهجا عشيرتى ، وكان شاعرا قال الحجاج : فما قال ؟ قال :

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها   جرير لقد أخزى كليبا جريرها
رميت نضالا عن كليب فقصرت   مراميك حتى عاد صفرا جفيرها (٢)
ولا يذبحون الشاة إلا بميسر   طويلا تناجيها صغارا قدورها (٣)

قال : فما قلت له ؟ قال :

---

(١) لا يراغم : لا يعادى .   (٢) الجفير : جعبة من جلود لا خشب فيها أو من خشب لاجلود فيها . المرامى السهام واحدها مرماة . صفرا : خال ، والمعنى أن جعبة سهامه خات من السهام وهو لم ينل بعد مأربا .

(٣) أى يشتركون فى الشاة كما يشترك الأيسار فى الجزور . والتناجى: والتشاور

لقد ضمنوا الأحساب صاحب سوءة ... يناجي بها نفسا خبيثا ضميرها
الا ليت شعري عن سليط ألم تجد ... سليط سوى غسان جارا يجيرها

قال : ثم من ؟ قال البعيث . قال : فالك وله . قال : اعترض دون بن أم غسان ليفضله ويعينه . قال : فما قال لك ؟ قال :

كليب لئام الناس قد تعلمونه ... وأنت إذا عدت كليب لئيمها
لنى مقعد الأحساب منقطع به ... إذا القوم راموا خطة لا يرومها
أترجو كليب أن يجىء حديثها ... بخير وقد أعيا كليبا قديمها

قال فما قلت له . قال .

ألم تر أنى قد رميت ابن قرتنى ... بصماء لايرجو الحياة أميمها
له أم سوء بئسما قدمت له ... إذا فرط الأحساب عد قديمها (١)

قال : ثم من ؟ قال الفرزدق . قال : فالك وله ؟ قال : أعان البعيث على قال فما قلت له ؟ قال :

تمنى رجال من تميم لى الردى ... ومازاد عن أحسابهم أنا أو مثلى (٢)

قال : ثم من ؟ قال : الأخطل حين يقول :

أخسأ إليك كليب إن مجاشعا ... وأبا الفوارس نهشلا أخوان (٣)
وإذا وردت الماء كان لدارم ... جماته وسهولة الأعطان (٤)
وإذا قذفت أباك فى ميزانهم ... رجحوا وشال أبوك فى الميزان

---

(١) أى إذا فرط فى أحسابه عد الناس لأنفسهم أحساباً قديمة ، ويروى إذا فارط الأحساب (بالتحريك) والمراد ماضيها .

(٢) رجال من تميم : يريد الفرزدق والبعيث وعمرو بن لجأ وغسان بن ذهب السليطى والمستنير بن عمرو وهو البلتع .

(٣) يقال اذهب إليك : أى اشتغل بنفسك . فقوله هنا : اخسأ إليك أى ابتعد مشتغلا بنفسك غير متصل بأحد لحقارتك . ومجاشع ونهشل من آباء الفرزدق .

(٤) دارم أبوه الأعلى . جمات الماء : جمع جمة وهو ما تجمع فى البئر منه . ومراده بقوله : جماته أنهم ذو الأولية فى السقاية لعظيم مكانتهم فلا يجرؤ أحد أن يتقدمهم إلى الماء .

قال : فما قلت له ؟ قال قلت :

يا ذا العباءة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان (١)
فدعوا الحكومة لستمو من أهلها إن الحكومة فى بنى شيبان (٢)
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان (٣)

قال : ثم من ؟ قال : الراعى ، قال : مالك وله ؟ قال : قدمت البصرة ، وكان بلغنى أنه قال فى :

يا صاحبى دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

فقلت له :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وسنفصل حديث هذه القصيدة عند رواية شعر جرير .

وما زال الحجاج يسمر بحديث مهاجاته للشعراء حتى طلع الصبح ، وقد قال فى شأنه : قاتله الله أعرابيا إنه لجرو هراش :

خطبة الحجاج بالكوفة عام ٧٥ هـ :

لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق ، جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده ، وقال : أيها الناس : إن العراق كدر ماؤها ، وكثر غوغاؤها ، واملولح عذبها ، وعظم خطبها ، وظهر ضرامها ، وعسر إخماد نيرانها ؛

---

(١) ذو العباءة : هو الأخطل ، وكان يلبس العباءة وهى من مسوح النصارى . بشر هو بشر بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك : النشوان : السكران ، يعيره بما رشاه به محمد بن مطارد من زق الخمر والحلة ليفضل عليه الفرزدق .

(٢) بنو شيبان من بكر ، والأخطل تغلبى ، وكانت بين بكر وتغلب عداوة ومنافسة

(٣) كليب هو الفارس المشهور الذى من أجله قامت حرب البسوس وهو تغلبى يجتمع مع الأخطل فى قبيلته . اللقحة : الناقة ، والمراد بها هنا ناقة البسوس التى من أجلها قامت الحرب بين بكر وتغلب . الخزر : جمع أخزر ، وهو الذى فى عينه ضيق وذلك كناية عن اللؤم . الهجان : الخيار .

فهل من ممهد لهم بسيف قاطع ، وذهن جامع ، وقلب ذكى ، وأنف حمى : فيخمد نيرانها ، ويردع غيلانها ، وينصف مظلومها ، ويداوى الجرح حتى يندمل ، فتصفو البلاد، ويأمن العباد(١)؟

فسكت القوم ، ولم يتكلم أحد . فقام الحجاج ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا للعراق . قال : ومن أنت ؟ لله أبوك ! قال : من ثقيف . قال : اجلس : لا أم لك فلست هناك !

ثم قال : مالى أرى الرءوس مطرقة ، والألسن معتقلة ؟ فلم يجبه أحد .

فقام إليه الحجاج ، وقال : أنا مجدل الفساق ، مطفىء نار النفاق ، قال ومن أنت ؟ قال : أنا قاصم الظلمة ، الحجاج بن يوسف ، معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة . قال : اليك عنى ذاك : فلست هناك !

ثم قال : من للعراق ؟ فسكت القوم ، وقام الحجاج، وقال: أنا للعراق، فقال: إذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها ؛ وإن لكل شىء يا ابن يوسف آية وعلامة . فما آيتك وما علامتك؟ قال : العقوبة والعفو والاقتدار، والبسط والازورار(٢)، والإدناء والإبعاد ، والجفاء والبر ، والتأهب والحزم ، وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب ؛ فمن جادلنى لطمته ، ومن نازعنى قصمته ، ومن خالفنى نزعته ، ومن دنا منى أكرمته ، ومن طلب الأمان أعطيته ، ومن سارع إلى الطاعة بجلته ؛ فهذه آيتى وعلامتى ، وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلونى ! فان كنت للأعناق قطاعا ، وللأموال جماعا ، وللأرواح نزاعا ، ولك فى الأشياء نفاعا ، وإلا فليستبدل بى أمير المؤمنين ، فان الناس كثير ، ولكن من يقوم بهذا الأمر قليل .

---

(١) المستطرف ص ٥١ ج ١ ، الكامل ص ٢٢٣ ج ١ ، رغبة الآمل ص ٥١ ج ٤

(٢) ازور عن الشىء : عدل عنه وانحرف .

فقال عبد الملك : أنت لها ، فما الذى تحتاج إليه؟ قال : قليل من الجند والمال.

فدعا عبد الملك صاحب جنده ، وقال له : هيء له من الجند شهوته ، وألزمهم طاعته ، وحذرهم مخالفته . ثم دعا الخازن ، فأمره بمثل ذلك .

فخرج الحجاج قاصدا العراق ، فبينما الناس فى المسجد الجامع بالكوفة ، إذ آتاهم آت ، فقال : هذا الحجاج ، قدم أميراً على العراق ، فتطاولت الأعناق نحوه ، وهو يمشى ، وعليه عمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلداً سيفاً ، متنكباً(١) قوساً ، حتى صعد المنبر ، فلم يتكلم كلمة واحدة ، ولا نطق بحرف ، حتى غص(٢) المسجد بأهله ، وأهل الكوفة يومئذ ذو حال حسنة ، وهيئة جميلة ، فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه ، عليهم الخز والديباج .

فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق ! حتى قال عمير بن ضابىء البرجمى : ألا أحصبه(٣) لكم ؟ فقالوا امهل حتى ننظر ، فلما رأى عيون الناس شاخصة إليه ، حسر اللثام عن فيه ، ونهض فقال :

أنا ابن جلا (٤) وطلاع الثنايا(٥)   متى أضـــع العمامة(٦) تعرفونى

ثم قال : ياأهل الكوفة ، إنى لأرى رءوساً قد أينعت(٧) ، وحان قطافها ، وإنى لصاحبها ، وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى ، ثم قال :

---

(١) تنكب القوس : ألقاه على منكبه .

(٢) غص بأهله : ضاق .

(٣) حصبه : رماه بالحصى .

(٤) أى أنا الظاهر الذى لايخفى وكل أحد يعرفنى ، وجلا اسم رجل سمى بالفعل الماضى ، وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع فى الغارات من ثنية الجبل على أهلها.

(٥) الثنايا : جمع ثنية ، والثنية الطريق فى الجبل ، وقد أراد أنه جلد .

(٦) العمامة تلبس فى الحرب وتوضع فى السلم .

(٧) أينعت : أدركت ونضجت .

هذا أوان الحرب فاشتدى زيم(١) قد لفها الليـل بسواق حطم(٢)
لست براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم(٣)

إنى والله يا أهل العراق مايقعقع(٤) لى بالشنان ، ولا يغمز جانبى كتغمار التين ، ولقد فررت عن ذكاء(٥) وفتشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — نثر كنانته بين يديه ، فعجم(٦) عيدانها ، فوجدنى أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً ، فرماكم بى ، لأنكم طالما أوضعتم (٧) فى الفتنة ، واضطجعتم فى مراقد الضلال ، والله لأحزمنكم حزم السلمة(٨) ولأضربنكم ضرب غرائب(٩) الأبل ، فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وإنى والله ما أقول إلا وفيت ، ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق(١٠) إلا فريت(١١) ، وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطائكم أعطياتكم ، وأن أوجهكم لمحاربة

---

(١) زيم : اسم ناقة أو فرس وهو يخاطبها يأمرها بالعدو ، وحرف النداء محذوف.

(٢) هو العنيف برعاية الإبل فى السوق والإيراد والاصدار ويلقى بعضها على بعض ، ضربه مثلا لوالى السوء .

(٣) الوضم : كل ماقطع عليه اللحم .

(٤) الشنان : واحدها شن ، وهو الجلد اليابس ، فاذا قعقع به نفرت الابل منه ، فضرب ذلك مثلا لنفسه .

(٥) ذكاء : تمام السن ، والذكاء على نوعين : أحدهما تمام السن ، والآخر حدة القلب .

(٦) مضغها لينظر أيها أصلب .

(٧) الايضاع : ضرب من السير .

(٨) السلمة : شجرة شاكة ، يعسر خرط ورقها ، فيشد بعضها إلى بعض ، ثم يضربها الخابط فيتناثر ورقها .

(٩) ضرب غرائب الابل : هو مثل ضربه يهدد به رعيته ، وذلك أن الابل إذا دخلت بينها غريبة وهى ترد الماء ضربها راعيها ضربا مؤلماً حتى تخرج .

(١٠) أخلق : أقدر .

(١١) فراه : شقه صالحاً أو فاسداً .

عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة ، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه إلا ضربت عنقه .

يا غلام ، اقرأ عليهم كتاب أمين المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين . سلام عليكم . فلم يقل أحد منهم شيئاً ، فقال الحجاج: اكفف ياغلام ، ثم أقبل على الناس فقال: أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً ! هذا أدب ابن نهية(١) ! والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب ، أو لتستقيمن .

اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ قوله : سلام عليكم ، لم يبق فى المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام .

ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون ، حتى أتاه شيخ يرعش كبراً

فقال : أيها الأمير ، إنى من الضعف على ماترى ، ولى ابن هو أقوى على الأسفار منى ، فتقبله بدلا منى ، فقال له الحجاج : نفعل أيها الشيخ .

فلما ولى قال له قائل(٢) : أتدرى من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضابىء البرجمى الذى يقول أبوه :

همت ولم أفعل وكدت وليتنى ترکت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا ، فوطىء بطنه ، فكسر ضلعين من أضلاعه ، فقال : ردوه . فلما رد قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ؟ إن فى قتلك أيها الشيخ لصلاحا للمسلمين . ياحرسى(٣) اضرب عنقه .

---

(١) ابن نهية : رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج .
(٢) هو عنبسة بن العاص الأموى .
(٣) الحرسى : واحد حرس السلطان .

خطبة دير الجماجم (١) :

خطب الحجاج بعد وقعة دير الجماجم ، فقال :

يأهل العراق ، إن الشيطان قد استبطنكم (٢) فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف (٣) ، ثم أفضى إلى المخاخ والأصماخ ، ثم ارتفع فعشش ، ثم باض ففرخ ، فحشا كم نفاقا وشقاقا ، وأشعركم خلافا ، واتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ، ومؤامراً (٤) تستشيرونه . فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة . أو يحجزكم إسلام ، أو ينفعكم بيان ؟ ألستم أصحابي بالأهواز (٥) حيث رمتم المكر ، وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم (٦) للكفر ، وظننتم أن الله خذل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي . تتسللون لواذا (٧) ، وتنهزمون سراعا . ثم يوم الزاوية ! بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم ، وبراءة الله منكم . ونكوص (٨) وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يأوى الشيخ على النبيه ، حتى عضكم السلاح ، وقصمتكم الرماح . ثم دير الجماجم وما دير الجماجم ! ! بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله (٩) ، ويصرف الخليل عن خليله ، يأهل

---

(١) دير الجماجم بظاهر الكوفة ، وبهذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن ابن الأشعث وانهزم فيها ابن الأشعث .

(٢) استبطن الأمر : دخل باطنه . (٣) الشغاف : حجاب القلب أو حبته .

(٤) آمره : شاوره .

(٥) الأهواز : سبع كور أو تسع بين البصرة وخراسان . لكل اسم خاص ، ولا يسمى واحدها هوزا ، ولعل الحجاج أراد أقربها إلى البصرة ، وهو الذى يغلب عليه اسم الأهواز كما فى مصور المرحوم أمين بك واصف .

(٦) اجتمعتم . (٧) اللواذ بالشىء (مثلثة) : الاستتار به والاحتضان به . واللواذ أيضا المراوغة .

(٨) نكس عن الأمر : أحجم ، وعلى عقبيه : رجع عما كان فيه من خير .

(٩) مقيله : مكانه .

العراق ، والكفرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الختزات (١) . والثورة بعد الثورات ، إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم (٢) وجبنتم . وإن أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم ، لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة ، يأهل العراق : هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استفزكم عاص ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم (٣) خالع (٤) إلا اتبعتموه وأكرمتموه ونصرتموه وزكيتموه : يأهل العراق : ألم تنهكم المواعظ ، ولم تزجركم الوقائع . ثم التفت إلى أهل الشام ، فقال : يأهل الشام ، أنا لكم كالظلم (٥) الرامح (٦) عن فراخه ، ينفى عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذئاب . يأهل الشام : أنتم الجنة والرداء ، وأنتم العدة والحذاء (٧) .

الحجاج ويزيد بن المهلب :

وأخذ الحجاج (٨) يزيد بن المهلب ، وعذبه وقصده ، واستأصل موجوده وسجنه ، فتوصل يزيد بحسن تلطفه ، ودخل فيما جعله الله له نجاة ، وأرغب السجان ؛ واستماله إليه ، وهرب هو والسجان ، وقصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان - وكان الخليفة فى ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك .

فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن إليه ، وأقامه عنده ، فكتب الحجاج إلى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن ، وهو عند سليمان ابن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ، وأمير المؤمنين أشمل رأياً .

فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك ، فكتب سليمان إلى أخيه : يا أمير المؤمنين

---

(١) الختزة : الخديعة .

(٢) غل : خان فى الغنيمة .

(٣) استعانكم ، (٤) خالع : ثائر جان .

(٥) الظليم : ذكر النعام . (٦) : الرامح الضارب برجله .

(٧) الحذاء ، القدوة ، من حذاه إذا فعل فعله .

(٨) العقد الفريد للملك السعيد ص ١٠٢ ، تاريخ الطبرى ص ٧٣ ج ٨ ، ثمرات الأوراق ص ٢٠٨ ، وفيات الأعيان ص ٢٧٠ ج ٢

إنى إنما أجرت يزيد بن المهلب لأنه هو وأبوه وإخوته من صنائعنا قديماً وحديثاً ، ولم أجر عدواً لأمير المؤمنين ، وقد كان الحجاج قصده وعذبه ، وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلماً . ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم ، وقد سار هذا الرجل إلىّ مستجيراً فأجرته . وأنا أغرم عنه ثلاثة آلاف ألف الدرهم ، فان رأى أمير المؤمنين ألا يخزينى فى ضيفى فعل ، فانه أهل الفضل والكرم !
فكتب إليه الوليد : « لا والله ، لا أؤمنه حتى تبعث به إلىّ فى وثاق (١) » .

فكتب إليه سليمان : والئن أنا بعثت به إليك لأجيئن معه : فأنشدك الله ألا تفضحنى ولا تخفرنى . فكتب إليه الوليد : والله لئن جئتنى لا أؤمنه .

فقال يزيد ابعثنى إليه ، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرباً ، ابعث إليه بى ، وأرسل معى ابنك ، واكتب إليه بألطف ما قدرت عليه .

فأحضر سليمان ولده أيوب ، فقيده . ودعا بيزيد فقيده ، ثم شد قيد هذا إلى قيد هذا بسلسلة ، وغلهما بغلين (٢) ، وحملهما إلى الوليد . وكتب إليه : أما بعد يا أمير المؤمنين . فانى قد وجهت إليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان . ولقد هممت أن أكون ثالثهما . فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد ، فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله . ثم اجعل يزيد ثانياً . واجعلنى إذا شئت ثالثاً ، والسلام » .

فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان عليه فى سلسلة واحدة أطرق استحياء . وقال : لقد أسأنا إلى سليمان إذ بلغنا به هذا المبلغ .

فأراد يزيد أن يتكلم ويحتج عن نفسه ؛ فقال له الوليد : ما نحتاج إلى كلام فقد قبلنا عذرك . وعلمنا ظلم الحجاج : ثم أحضر حداداً . وأزال عنهما الحديد . وأحسن إليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم : وردهما إلى سليمان ، وكتب كتاباً إلى الحجاج يقول له : لا سبيل لك على يزيد بن المهلب ؛ فاياك أن تعاودنى فيه بعد اليوم .

فصار يزيد إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان فى أعلى المراتب . وأفضل المنازل .

---

(١) الوثاق : ما يشد به (٢) الغل : جامعة توضع فى العنق أو فى اليد .

الحجاج وخالد بن عتاب(١) :

واستعمل الحجاج خالد بن عتاب على الرى ، وكانت أمه أم ولد ، فكتب إليه الحجاج يسب أمه ، ويقول : أنت الذى هربت عن أبيك حتى قتل — وقد كان حلف ألا يسب أحد أمه إلا أجابه كائنا من كان .

فكتب إليه خالد : كتبت إلى تشتم أمى ، وتزعم أنى فررت عن أبى حتى قتل ، ولعمرى لقد فررت عنه ، ولكن بعد أن قتل ، وحين لم أجد لى مقاتلا ، ولكن أخبرنى عنك يالئيم حين فررت أنت وأبوك يوم الحرة(٢) على جمل ثقال(٣) ، أيكما كان أمام صاحبه ؟

فقرأ الحجاج الكتاب وقال : صدق :

أنا الذى فررت يوم الحرة ثم ثنيت كرة بفرة والشيخ لايفر إلا مرة

ثم طلبه ففر إلى الشام ، وسلم بيت المال ، ولم يأخذ منه شيئاً .

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه ، وقدم خالد الشام فسأل عن خاصة عبد الملك فقيل له : روح بن زنباع ، فأتاه حين طلعت الشمس ، فقال : إنى جئتك مستجيراً . فقال : إننى قد أجرتك إلا أن تكون خالداً ، قال : فانى خالد ، فتغير ، وقال : أنشدك الله إلا خرجت عنى ، فانى لا آمن عبد الملك ، فقال : أنظرنى(٤) حتى تغرب الشمس . فجعل روح يراعيها حتى خرج خالد ، فأتى زفر بن الحارث الكلابى ، فقال : إنى جئتك مستجيراً . قال : قد أجرتك ، قال : أنا خالد بن عتاب . قال : وإن كنت خالداً .

فلما أصبح دعا ابنين له ، فتهادى بينهما — وقد أسن — فدخل على عبد الملك

---

(١) الأغانى ص ٤٠ جـ ١٩

(٢) كانت واقعة الحرة أيام يزيد . وهى موضع بظاهر المدينة وقعت فى ذى الحجة من سنة ٦٣ هـ .

(٣) الثقال : البطىء من الابل .

(٤) أمهلنى .

وقد أذن للناس ، فلما رآه دعا له بكرسى ، فجعل عند فراشه ، فجلس ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنى قد أجرت عليك رجلا فأجره . قال : قد أجرته إلا أن يكون خالداً ، قال : فهو خالد . قال : لا ولا كرامة .

قال زفر لابنيه : أنهضانى . فلما ولى قال : يا عبد الملك ، أما والله لو كنت تعلم أن يدى تطيق حمل القناة لأجرت من أجرت ، فضحك ، وقال : قد أجرناه . وأرسل إلى خالد بألفى درهم .

رسائل للحجاج :

١ — كتب الحجاج إلى عبد الملك فى شأن عروة بن الزبير ، وكان عروة عاملا على اليمن ، فهرب ولجأ إلى عبد الملك :

أما بعد فان لوذان المعترضين بك ، وحلول الجانحين إلى المكث بساحتك ، واستلانتهم دمث أخلاقك ، وسعة عفوك ، كالعارض المبرق لأعدائه لايعدم له شائماً رجاء استمالة عفوك ، وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على إضاعة الحقوق مع كل مثال ، والناس عبيد العصا ، هم على الشدة أشد استباقاً منهم على اللين ، ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله ، وفى استخراجه منه قطع لطمع غيره ، فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك ، والسلام .

فكتب اليه عبد الملك : بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد : فان أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك ، خابطاً فى السياسة خبط عشواء الليل ، فان رأيك الذى يسول لك أن الناس عبيد العصا هو الذى أخرج رجالات العرب الى الوثوب عليك ، واذا أخرجت العامة بعنف السياسة كان أوشك وثوباً عليك عنك ، ثم لايلتفتون الى ضلال الداعى ولاهداه اذا رجوا بذلك إدراك الثأر منك ، وقد وليت العراق قبلك ساسة وهم يومئذ أحمى أنوفا ، وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلح منهم عليك ، وللشدة واللين أهلون ، والافراط فى العفو افضل من الافراط فى العقوبة . والسلام .

٢ — وللحجاج رسالة يوبخ فيها اناساً :

من الحجاج بن يوسف . اما بعد : فانكم استخلصتم الفتنة لا عن حق تقاتلون ، ولا عن منكر تنهون ، وأيم الله انى لأهم ان يكون اول مايرد عليكم من قبلى خيل

تنسف الطارف والتالد ، وتدع النساء أيامى ، والأبناء يتامى ، والسواد بياضا . فأيما رفقة مرت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير إلى الماء الذى يليه ، تقدمة منى إليكم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والسلام .

خطب أخرى للحجاج :

١ — خطب الناس حين أراد الحج فقال :

أيها الناس انى أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابنى محمدا هذا . وأوصيه فيكم بخلاف ما اوصى به رسول الله ﷺ فى الأنصار . ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوصى ان يقبل من محسنهم . ويتجاوز عن مسيئهم . ألا وإنى قد أوصيته ألا يقبل من محسنكم . ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألا وانكم ستقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من اظهارها إلا مخافتى . ألا وأنكم ستقولون بعدى لا أحسن الله له الصحبة . ألا وإنى معجل لكم الإجابة . لا أحسن الله الخلافة عليكم .

٢ — وخطب أيضاً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : —

يا أهل العراق ، ويا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق وبنى اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأولاد الاماء ، والقنع بالقرقر ، إنى سمعت تكبيرا لايراد به الله وانما يراد به الشيطان ، وإنما مثلى ومثلكم ما قال ابن براقة الهمدانى : —

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم ؟

٣ — وخطب حين أصيب بولده وأخيه :

أيها الناس محمدان فى يوم واحد ، أما والله لقد كنت أحب أنهما معى فى الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله فى الآخرة ، وأيم الله ليوشكن الباقى منا ومنكم أن يفنى ، والجديد منا ومنكم أن يبلى ، والحى منا ومنكم أن يموت ، وأن تدال الأرض منا كما أدلنا منها ، فتأ كل من لحومنا وتشرب من دمائنا ، كما مشينا على ظهرها وأ كلنا من ثمارها ، وشربنا من مائها ، ثم يكون كما قال الله « ونفخ فى الصور فاذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون » . ثم تمثل بهذين البيتين : —

عزائى نبى الله من كل ميت وحسبى ثواب الله من كل هالك
اذا ما لقيت الله عنى راضيا فان سرور النفس فيما هنالك

٤ ــ خطبة للحجاج بالكوفة :

ودخل الحجاج الكوفة فى توجهه إلى عبد الملك ، فصعد المنبر ، فانكسر تحت قدمه لوح ، فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك ، فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله تعالى ، فقال :

شاهت(١) الوجوه ، وتبت(٢) الأيدى ، وبؤتم بغضب من الله ، إذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد ، تفاءلتم بالشؤم ، وإنى على أعداء الله تعالى لأنكد من الغراب الأبقع(٣) ، وأشأم من يوم نحس مستمر ، وإنى لأعجب من لوط وقوله : لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ، فأى ركن أشد من الله تعالى .

أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه إلى أمير المؤمنين ، وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف ، وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله معاذاً فى أهل اليمن ، فانه أمره أن يحسن إلى محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، وقد أمرته أن يسىء إلى محسنكم ، وألا يتجاوز عن مسيئكم .

وأنا اعلم أنكم تقولون بعدى : لا أحسن الله له الصحابة ، وانا معجل لكم الجواب ، لا أحسن الله عليكم الخلافة ، أقول قولى هذا ، وأستغفرالله العظيم لى ولكم .

---

(١) شاهت الوجوه : قبحت .
(٢) تبت يداه : خسرتا .
(٣) الأبقع : الذى فيه سواد وبياض .

الأحنف بن قيس

المتوفى عام ٦٧ هـ

ولد الأحنف قبل الإسلام ، ولم ينل شرف صحبة رسول الله ، وأرسل الرسول صلوات الله عليه رجلا إلى قومه « تميم » يعرض عليهم الإسلام ، فقال الأحنف : إنه يدعو إلى خير ويأمر بخير ، فلم لا نجيب دعوته ، ساد الأحنف تميما ، وتميم هى من هى فى الشرف والعزة والمنعة ، وقد خلف الأحنف قيس بن عاصم المنقرى التميمى فى سيادة قومه .

وفى عهد عمر بعث أبو موسى الأشعرى والى البصرة وفداً من تميم إلى الخليفة ، وكان أول ماعرف من فضله وتقدمه حين وفد على عمر بن الخطاب مع رؤوس بنى تميم قومه ، وكان أحدثهم سناً وأصغرهم شأنا وأقبحهم صورة ، فتكلم كل رجل منهم فى حاجته خاصة ولم يذكر حاجة القبيلة ، والأحنف ساكت ، فلما انتهوا قال له عمر رضى الله عنه : وما تقول يا فتى ؟ يسأله حاجته فقال :

يا أمير المؤمنين إن العرب نزلت بمساكن طيبة ذات أثمار وأنهار عذبة وأكنة ظليلة ومواطن فسيحة ، وإنا نزلنا بسبخة نشاشة ماؤها ملح وأفنيتها ضيقة ، وإنما يأتينا الماء العذب فى مثل حلق النعامة بالأنزار ، كنا يا أمير المؤمنين نحفر نهرا يقدر ماؤه حتى تأتى الأمة فتغرف بجرتها وإنائها ، ونوشك أن نهلك ، فقال عمر : ثم ماذا ؟ قال تحفر نهرنا وتزيد فى صاعنا ومدنا ، وتثبت من تلاحق فى العطاء من ذريتنا ، قال ثم ماذا ؟ قال تخفف عن ضعيفنا وتنصف قوينا وتعاهد ثغورنا وتجهز بعثنا ، قال : ثم ماذا ؟ قال إلى هنا انتهت المطالب ووقف الكلام ، ولم يذكر الأحنف لنفسه حاجة خاصة .. قال عمر : أنت رئيس رفدك وخطيب مصرك ، قم عن موضعك الذى أنت فيه ، ثم أدناه حتى أقعده بجانبه واستنسبه فانتسب له ، فقال : أنت سيد تميم ، فبقيت له السيادة على تميم حتى مات .

وكتب معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين بدمشق إلى زياد بن أبيه واليه على العراق يقول : اختر لى رجلا أوليه ثغور الهند ، فكتب ، إليه زياد : إن قبلى رجلين يصلحان لهذا الأمر : الأحنف بن قيس وسنان بن سلمة الهذلى فكتب إليه معاوية — وكان الأحنف من أنصار على — بأى يومى الأحنف نكافئه ؟ أبخذلانه أمير المؤمنين

يوم الجمل أم بسعيه علينا يوم صفين ؟ وجه سنانا : فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل.

وقيل للأحنف : بم بلغت فى قومك ما بلغت ؟ فأجاب : لوعاب الناس المـــاء ما شربته : وسأله سفيه متعجرف : يا أبا بحر بم سودك قومك وما أنت بأشرفهم بيتاً ولا أصبحهم وجهاً ولا أحسنهم خلقاً ؟ فقال بخلاف ما فيك يا ابن أخى ، قال وماذاك قال : بتركى من أمرك مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك .. وسأل هشام بن عبدالملك خالد بن صفوان وكان تميميا : ياخالد بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ ؟ قال إن شئت بخلة وإن شئت بخلتين وإن شئت بثلاث ، قال : فما الخلة ، قال : كان أقوى الناس على نفسه ، قال فما الخلتان ؟ قال : كان موقى الشر ملقى الخير ، قال فما الثلاث ؟ قال كان لا يجهل ولا يبغى ولا يبخل .

وللاحنف حكم وأمثال سائرة بليغة مأثورة ، تروى على الأجيال ، ومن حكمه وأمثاله قوله : «الكذوب لاحياة له والحسود لاراحة له والبخيل لامروءة له والملول لا وفاء له ، ولا يسود سيء الأخلاق ، انتصف من نفسك قبل أن ينتصف منك واعلم أن كفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم ، ومن الكرم الوفاء بالذمم ، لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الاحسان ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل :

وقد امتاز الأحنف ببلاغته وحلمه وأنفته وشجاعته وبصره بالأمور ودقيق فهمه وذكائه ، سئل الأحنف ممن تعلمت الحلم يا أبا بحر ؟ فقال من قيس بن عاصم ـ وكان قيس سيد بنى تميم قبل أن يسودها الأحنف ـ قيل له وما ذاك ؟ قال رأيت قيسا قاعداً بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول ، فقيل له هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ماحل حبوته ولاقطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له يا ابن اخى : أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك ، ثم قال لابن له آخر بالمجلس : قم حل كتاف ابن عمك ووار أخاك وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها ، فانها غريبة .. ثم أنشأ يقول :

إنى امرؤ لايطبى حسبى	دنس يهجه ولا أفن
من منقر من بيت مكرمة	والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم	بيض الوجوه أعفة لسن
لا يفطنون لعيب جارهم	وهم لحفظ جواره فطن

ونزلت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وطلحة والزبير بالبصرة يحرضون الناس على على بدعوة المطالبة بدم عثمان، والأحنف بالبصرة سيدها، فكتب إلى على يقول: «يا أمير المؤمنين إن شئت أتيتك فى مئتى رجل من أهل بيتى، وإن شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف»، فأرسل اليه على بل اكفف عنى أربعة آلاف سيف

ولما تم الأمر فى العراق لعلى وأراد الخروج من الكوفة لمحاربة معاوية كان الأحنف بجانبه فقال له: «يا أمير المؤمنين إنه إن يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل فلم ينصروا عليك غيرك، وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ وعجبوا اليوم ممن خذلك، لأنهم شكوا فى طلحة والزبير، ولم يشكوا فى عمرو ومعاوية، وإن عشيرتنا بالبصرة، فلو بعثنا اليهم فقدموا علينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم من الناس وأدركوا اليوم مافاتهم أمس، وهذا جمع قد حشره الله عليك بالتقوى، لم تستكره منه شاخصاً ولم تشخص فيه مقيماً، ومن كان معك نافعك، ووالله لوددنا أن أمواتنا رجعوا الينا فاستعنا بهم على عدونا، وليس لك إلا من كان معك ولنا من قومنا عدد لا نلقى بهم عدواً أعدى من معاوية، ولا نسد بهم ثغراً أشد من الشام» فقال له على: اكتب إلى قومك، فكتب إلى بنى سعد: أقبلوا الينا ولا تبطئوا عنا فان فى تأخير العطاء حرماناً وفى تأخير النصر خذلانا، فجاءوه جميعاً ولم يقعد عنه رجل واحد... وخرج هو وقبيله مع على يوم صفين.

وفى موقف التحكيم كان الأحنف يحبذ القتال ويراه، وفى ذلك يقول لعلى: «يا أمير المؤمنين إن الناس بين ماض وواقف وقائل وساكت، وكل فى موضعه حسن ولكنه حق يقضى، ولم نقاتل القوم لنا ولا لك، إنما قاتلناهم لله، فان حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله، فانك أولى بالحق وأحقنا بالتوفيق ولا أرى إلا القتال».

وقال له لما اختار أبا موسى الأشعرى: «يا أمير المؤمنين إن أبا موسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فابعثنى معه، فوالله لا يحل لك عقدة إلا عقدت لك أشد منها، فان قلت إنى لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابعث ابن عباس وابعثنى معه». فقال على: إن الأنصار والقراء أتونى بأبى موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه، والله بالغ أمره.

فتقدم الأحنف إلى أبى موسى وقال له: «يا أبا موسى اعرف خطب هذا

المسير، واعلم أن لك مابعده وأنك إن ضيعت العراق فلا عراق لك ـ وكان قاضى العراق ـ فاتق الله فانك تجمع بذلك دنيا وأخرى ، إذا لقيت عمراً غداً فلا تبادره بالسلام فليس من أهله ، ولا تعطه يدك فانها أمانة ، وإياك أن تقعد على صدر الفراش فانها خدعة ، ولا تلقه وحدك ، وإياك أن يكلمك فى بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجالا » .

وقدحضر مجلس البيعة ليزيد فاستأذن معاوية فى الكلام الضحاك بن قيس فأثنى على يزيد وحض على مبايعته ، ثم استأذن عبدالرحمن بن عثمان الثقفى فأثنى على يزيد وحض على مبايعته ، ثم استأذن عبد الله بن مسعود الفزارى ونحا نحو صاحبيه ، وخطب غيرهم ممن تآمروا مع معاوية ، ولما انتهوا من كلماتهم قال معاوية : أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه ؟ فقالوا : كلنا قد أجمع على هذا رأيه ياأمير المؤمنين . قال : فأين الأحنف ؟ فأجابه : ـ وكان معاوية لايخشى سواه ـ قال : قم يا أبا بحر فان العيون أشرع إليك والآذان أسمع لك ، فقام الأحنف فقال : «أصلح الله أمير المؤمنين ، إن الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان مؤتنف ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف ، وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين ، فاعرف من تسند إليه الأمر من بعدك ، ثم اعص أمر من يأمرك ، ولا يغررك من يشير إليك ، ولا ينظر لك ، وأنت أنظر للجماعة ، وأعلم باستقامة الطاعة ، مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لايرضون بهذا ولا يبايعون يزيد ما كان الحسن حيا » .

فرد عليه أنصار معاوية فقام فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا فررنا عنك قريشا فوجدناك أكرمها زندا ، وأشدها عقداً ، وأوفاها عهداً . وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ، ولم تظهر عليها قعصا ، ولكنك أعطيت الحسن بن على من عهود الله ماقد علمت ، ليكون له الأمر من بعدك ، فان تف فأنت أهل للوفاء ، وإن تغدر تعلم والله أن وراء الحسن خيولا جياداً ، وأذرعا شداداً ، وسيوفا حداداً ، إن تدن له شبراً من غدر تجد وراءه باعا من نصر ، وإنك تعلم من أهل العراق أنهم ما أحبوك منذ أبغضوك ، ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما ، وما نزل عليهم فى ذلك خبر من السماء ، وإن السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم ، والقلوب التى أبغضوك بها لبين جوانحهم ، وأيم الله إن الحسن لأحب إلى أهل العراق من على » .

فقال معاوية : « أيها الناس ؛ إن لإبليس من الناس إخواناً وخلاناً ، بهم يستعد ، وإياهم يستعين ، وعلى ألسنتهم ينطق ، إن رجوا طمعاً أوجفوا ، وإن استغنى عنهم أرجفوا ؛ ثم يلحقون الفتن بالفجور ، ويشققون لها حطب النفاق ، عيابون مرتابون ، وليس أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا بمتعظين ، حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل ، وتحل بهم قوارع أمر جليل ، تجتث أصولهم ، فأولى لأولئك ثم أولى ، فإنا قدمنا وأنذرنا ، إن أغنى التقدم شيئاً او نفع النذير » .

فقام إليه الأحنف فقال : « يا امير المؤمنين انت اعلمنا بيزيد بليله ونهاره ، بسره وعلانيته ، فان كنت تعلم أنه خير لك وللمؤمنين فوله واستخلفه ، وإن كنت تعلم أنه شر فلا تزوده من الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة ، فانه ليس لك إلا ماطاب من عملك ، واعلم أنه لاحجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم منهما وإلى من هما ، وإنما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

ولما مات الأحنف بن قيس بالكوفة مشى مصعب بن الزبير فى جنازته بغير(١) رداء ، وقال قوم : مات سر العرب . فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت : لله (٢) درك من مجن (٣) فى جنن ، ومدرج فى كفن ، فنسأل الذى فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشد دليلك ، وأن يوسع لك فى قبرك ويغفر لك يوم حشرك ، فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا ، وعلى الأرامل عطوفا ، ولقد كنت فى الحى مسودا ، وإلى الخليفة موفداً ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك متبعين .. ثم أقبلت على الناس فقالت : ألا إن أولياء الله فى بلاده ، شهود عباده ، وإنى لقائلة حقاً ، ومثنية صدقا ، وهو أهل لحسن الثناء ، وطيب البقاء . أما والذى كنت من أجله فى عدة ، ومن الحياة إلى مدة ، ومن المقدار إلى غاية . ومن الآثار إلى نهاية ، الذى رفع عملك ، لما قضى أجلك ، لقد عشت حميدا مودودا ، ومت

---

(١) تلك كانت عاداتهم فى جنائز العظماء . (٢) الدر : اللبن والعمل : ولله درك : كلمة تعجب . (٣) أجنه : ستره . والجنن : القبر ، ومن بدائع العربية أن مادة (ج ن ن) تدل على الستر كالجن والجنون والجنة والمجن والجنان والجنين

سعيداً مفقوداً (١) ثم انصرفت وهى تقول :

لله درك يا أبا بحـــر ماذا تغيب منك فى القبر
لله درك أى حشـــو ثرى أصبحت من عرف ومن نكر
ان كان دهر فيك جد لنا حدثانه (٢) ووهت قوى الصبر
فلكم يد أسديتها ويد كانت ترد جرائر الدهر

ثم انصرفت فسئل عنها فاذا هى امرأته وابنة عمه ، فقال الناس : ما سمعنا كلام امرأة قط أصدق ولا أبلغ منه .

حكم أخرى للأحنف بن قيس:

قال رجل من بنى تميم : حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون فى أمر لهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

إن الكرم منع الحرم . ما أقرب النقمة من أهل البغى . لا خير فى لذة تعقب ندما . ان يهلك من قصد ، ولن يفتقر من زهد . رب هزل قد عاد جداً . من أمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه . دعوا المزاح فانه يورث الضغائن . وخير القول ما صدقه الفعل . احتملوا لمن أدل (٣) عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر اليكم ، أطع أخاك وإن عصاك ، وصله وان جفاك . انتصف من نفسك قبل أن ينتصف منك . واعلم أن كفر النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ، ومن الكرم الوفاء بالذمم ، ما أقبح القطيعة بعد الصلة والجفاء بعد اللطف (٤) والعداوة بعد الود . لا تكونن على الاساءة أقوى منك على الإحسان . ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل ، واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ؛ فانفق فى حق ولا تكونن خازنا لغيرك . وإن كان الغدر فى الناس موجوداً ، فالثقة بكل أحد عجز . اعرف الحق لمن عرفه

---

(١) يقولون : مات فلان غير حميد ولا فقيد أى غير مكترث لفقدانه ، فقولها : مفقودا ، تريد يحزن الناس فقدك .

(٢) حدثان الدهر : نوائبه . . هذا وقد ذكر صاحب بلاغات النساء ان اسم امرأته صفية بنت هشام المنقرية .

(٣) أدل عليه : وثق من محبته فأفرط عليه فى المعاملة .

(٤) اللطف كجبل : البر والتكرمة .

لك ، واعلم ان قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .

وجلس معاوية يوماً ، رعنده وجوه الناس ؛ وفيهم الأحنف ، فدخل رجل من أهل الشام ، فقام خطيباً ، فكان آخر كلامة أن لعن علياً رضى الله عنه ، فأطرق الناس ، وتكلم الأحنف ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا القائل لو علم أن رضاك فى لعن المرسلين للعنهم . فاتق الله ، ودع علياً ، فقد لقى الله ، وأفرد فى حفرته ، وخلا بعمله ، وكان والله — ماعلمنا — الطاهر فى خلقه ، الميمون النقيبة ، العظيم المصيبة .

قال معاوية : يا أحنف : لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت بغير ما ترى ، وأيم الله لتصعدن المنبر فلتلعننه طائعاً أو كارهاً ! ؟

فقال الأحنف : إن تعفنى فهو خير ، وإن تجبرنى على ذلك فوالله لا تجرى به شفتاى !

فقال معاوية : قم فاصعد ! قال : أما والله لأنصفنك فى القول والفعل .

قال معاوية : وما أنت قائل إن أنصفتنى ؟ قال : أصعد فأحمد الله وأثنى عليه . وأصلى على نبيه ، ثم أقول : أيها الناس ، إن معاوية أمرنى أن ألعن علياً ، ألاوإن علياً ومعاوية اختلفا واقتتلا ، وادعى كل واحد منهما أنه مبغى عليه وعلى فئته ، فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله .

خالد بن صفوان
المتوفى سنة ١٣٣ ﻫ

خالد خطيب بليغ ، ولسن مبين ، حسن السمر ، جيد المنادمة ، من أشهر بلغاء الدولة الأموية ، ومما يروى عنه قال (١) :

أوفدنى يوسف بن عمر الثقفى إلى هشام بن عبد الملك فى وفد أهل العراق فقدمت عليه ، وقد خرج بقرابته وحشمه وغاشيته (٢) وجلسائه ، فنزل فى أرض قاع صحصح (٣) ، تنائف أفيح ، فى عام قد بكر وسميه ، وتتابع وليه (٤) ، وأخذت الأرض فيه زينتها على اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق (٥) ، فهو فى أحسن منظر ومخبر ، وأحسن مستمطر ، بصعيد (٦) كأن ترابه قطع الكافور وقد ضرب له سرادق من حبر (٧) ، كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن ، فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر ، مثلها مرافقها ، وعليه دراعة (٨) من خز أحمر مثلها عمامتها ، وقد أخذ الناس مجالسهم .

قال : فأخرجت رأسى من ناحية السماط (٩) ، فنظر إلى ، شبه المستنطق لى ، فقلت : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشدا وعاقبة ما يئول إليه حمدا ، وأخلصه لك بالتقى ، وكثره لك بالنما ، ولا كدر عليك منه ما صفا ، ولا خالط سروره بالردى . فقد أصبحت للسلمين ثقة ، إليك يقصدون فى أمورهم ، ويفزعون فى مظالمهم ، وما أجد شيئا — يا أمير المؤمنين — هو أبلغ فى قضاء حقك ، وتوقير مجلسك ، وما من الله على به من مجالستك ، من

---

(١) الأغانى ص ١٣٦ ج ٢ ، معجم الأدباء ص ٢٧ ج ١١

(٢) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه (٣) الصحصح والقاع الأرض الجرداء المستوية ، والتنائف : جمع تنوفة ، وهى أرض لاأنيس بها ولاماء والأفيح : الواسع (٤) الوسمى : مطر الربيع الأول ، والولى : المطر الذى يلى الوسمى (٥) مونق : معجب (٦) الصعيد : التراب أو وجه الأرض ، (٧) الحبر جمع الحبرة وهى نوع من منسوج اليمن فيه نقط (٨) الدراعة : الثوب المشقوق من الأمام (٩) السماط سمط وهو الصف من الناس وغيرهم .

أن أذكرك نعم الله عليك ، وأنبهك لشكرها ، وما أجد فى ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك ، فان أذن أمير المؤمنين أخبرته به .

قال : فاستوى هشام جالساً وكان متكئاً ، ثم قال : هات يابن الأهتم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن ملكا من الملوك قبلك خرج فى عام مثل عامك هــذا إلى الخورنق والسدير(١) ، فى عام قد بكر وسميه ، وتتابع وليه ، فهو فى أحسن منظر ، وأحسن مستمطر ، كأن ترابه قطع الكافور ، وكان قد أعطى فتاء(٢) السن ، مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظر ، ثم قال لجلسائه : لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أعطى أحد مثل ما أعطيت ؟

قال : وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة(٣) ، والمضى على أدب الحق ومناهجه ، ولم تخل الأرض من قائم لله بالحجة فى عباده ، فقال : أيها الملك ؛ إنك سألت عن أمر ، أفتأذن لى فى الجواب عنه : قال : نعم ، قال : أرأيت(٤) هذا الذى أنت فيه ، أشىء لم تزل فيه ، أم شىء صار إليك ميراثاً وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك من لدن غيرك ؟ قال : كذلك هو ! قال : فما أراك إلا أعجبت بشىء يسير تكون فيــه قليلا . وتغيب عنه طويلا ، وتكون غداً بحسابه مرتهناً . قال : ويحك ! فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ قال : إما أن تقيم فى ملكك فتعمل بطاعة الله ربك على ماساءك وسرك ، وأمضك(٥) وأرمضك(٦) ، وإما أن تضع تاجك ، وتخلع أطمارك(٧) ، وتلبس أمساحك(٨) ، وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك !

قال الملك : فاذا كان السحر فاقرع على بابى ؛ فانى مختار أحد الرأيين ، فان اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا يعصى ، وإن اخترت فلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقاً لا يخالف .

---

(١) الخورنق والسدير : قصران بالحيرة . (٢) الفتاء : الشباب الحدث .
(٣) الحجة : البرهان . (٤) أرأيت : أخبرنى .
(٥) يقال أمضنى : أحرقنى وشق على . (٦) أرمضك : أوجعك .
(٧) الطمر : الثوب الخلق .
(٨) المسح : الكساء من الشعر الغليظ وهو يجمع على أمساح جمع قلة .

فلما كان السحر قرع عليه بابه، فاذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره، ولبس أمساحه ، وتهيأ للسياحة ، فلزما والله الجبل ، حتى أتاهما أجلهما ، فذلك حيث يقول عدى بن زيد أخو بنى تميم :

أيها الشامت المعيب بالدهـــر أأنت المبرأ الموفور ؟
أم لديك العهد الوثيق من الأيـــام؟ بل أنت جاهل مغرور !
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير ؟
أين كسرى، كسرى الملوك أنوشر وان ؟ أم أين قبله سابور ؟
وبنو الأصفر الكرام ملوك الـــروم لم يبق منهم مذكور !
وأخو الحضر(١) إذ بناه وإذ دجـــلة تجبى إليه والخابور(٢)
شاده مرمراً وجلله كلســاً(٣) ، فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـــملك عنه ، فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشـــرف يوماً وللهدى(٤) تفكير
سرة ماله وكثرة ما يمـــلك والبحر معرضا(٥) والسدير
فارعوى قلبه فقال : وماغبـــطة حى إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والإمــــة(٦) وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جـــف ، فألوت(٧) به الصبا والدبور

فبكى هشام حتى اخضلت(٨) لحيته ، وبلت عمامته ، وأمر بنزع أبنيته ، ونقل قرابته وحشمه وحاشيته وجلسائه ، ولزم قصره .

فأقبلت الموالى والحشم على خالد فقالوا : ما أردت بأمير المؤمنين ! أفسدت عليه لذته ، ونغصت عليه مأدبته ، فقال : إليكم عنى ، فانى عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكرته بالله عز وجل !

---

(١) الحضر : قصر بحيال تكريت بين دجلة والفرات بناه الضيزن بن معاوية ملك الجزيرة(٢) الخابور : نهر بالجزيرة .(٣) الكلس: ما يدهن به النزل وغيرها .
(٤) يريد بهذه الجملة : أن التفكير طريق الهدى . (٥) معرضاً : متسعا .
(٦) الإمة : النعمة ، (٧) ألوت : ذهبت . (٨) اخضلت : ابتلت .

خالد وهشام :

ويروى عنه كذلك أنه قال (١) :

دخلت على هشام بن عبد الملك ، وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسرى ، فألفيته جالساً على كرسى فى بركة ، ملؤها إلى الكعبين ، فدعا لى بكرسى فجلست عليه ، فقال : يا خالد ، رب خالد جلس مجلسك ، كان ألوط بقلبى ، وأحب إلى !

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن حلمك لا يضيق عنه ، فلو صفحت عن جرمه ! فقال : إن خالداً أدل فأمل ، وأوجف فأجحف ، ولم يدع لراجع مرجعاً ، ولا للمودة موضعا ، ثم قال : ألا أخبرك عنه يابن صفوان ؟ قلت : نعم ، قال : إنه ما بدأنى بسؤال حاجة قط مذ قدم العراق حتى أكون أنا الذى أبدؤه بها ، فقلت : فذاك أحرى أن ترجع اليه ، فقال متمثلا :

إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل

قال خالد : ثم قال لى هشام : حاجتك ، فقلت : تزيدنى فى عطائى عشرة دنانير ، فأطرق ثم قال ، ولم ؟ وفيم ؟ ألعبادة أحدثتها فنعينك عليها ، أم لبلاء حسن أبليته عند أمير المؤمنين ، أم لماذا يابن صفوان ؟ إذن يكثر السؤال ، ولا يحتمل ذلك بيت المال ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، وفقك الله وسددك ، أنت والله كما قال أخو خزاعة

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه ... قرابة قربى أو صديق توافقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة ... ولم يفتلتك المال إلا حقائقه

بين خالد وهشام ومسلمة ابنى عبد الملك :

وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان بن الأهتم وعنده جرير والفرزدق والأخطل ، وهو يومئذ أمير : صفهم لنا يابن الأهتم فقال :

أما أعظمهم فخرا ، وأبعدهم ذكرا ، وأحسنهم عذرا ، وأسيرهم مثلا ، وأقلهم غزلا ، وأحلاهم عللا ، الطامى إذا ذخر ، والحامى إذا زأر ، والسامى إذا خطر ، الذى إن هدر قال ، وإن خطر صال . الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق ، وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتا . الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رفع ، فالأخطل .. وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكهم لعدو ستراً .

(١) أمالى المرتضى ص ١٩٢ ج ١

الأغر الأبلق ، الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق ، لجرير . وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزناد .

فقال له مسلمة : ما سمعنا بمثلك يا خالد فى الأولين ، ولا رأينا فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفا ، وألينهم عطفا ، وأعفهم مقالا ، وأكرمهم فعالا ، فقال خالد : أتم الله عليكم نعمه ، وأجزل لديكم قسمه ، وآنس بكم الغربة ، وفرج بكم الكربة ، وأنت والله ما علمت أيها الأمير كريم الغراس ، عالم بالناس ، جواد فى المحل ، بسام فى البذل ، حليم عند الطيش ، فى ذروة قريش ، ولباب عبد شمس ، ويومك خير من أمس ، فضحك هشام وقال : ما رأيت كتخلصك يا بن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم .

خالد والسفاح :

ودخل خالد بن صفوان على أبى العباس السفاح وعنده أخواله من بنى الحارث ابن كعب فقال : يا خالد ما تقول فى أخوالى ؟ قال : هم هامة الشرف ، وعرنين الكرم ، وغرس الجود . إن فيهم خصالا ما اجتمعت فى غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم لمماً (١) ، وأكرمهم شيما ، وأطيبهم طعما ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم هما ، الجمرة فى الحرب ، والرفد (٢) فى الجدب ، والرأس فى كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب (٣). فقال : وصفت يا أبا صفوان فأحسنت ، فزاد أخواله فى الفخر ، فغضب لأعمامه (٤) . فقال : افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين وأعظم من أعمامه فقال خالد :

وكيف أفاخر قوما بين ناسج برد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، وراكب عرد ؟ دل عليهم هدهد (٥) ، وغرقهم جرذ (٦) ، وملكتهم امرأة (٧) ، فأشرق وجه أبى العباس .

---

(١) جمع لمة بالكسر وهى الشعر الذى خلف شحمة الأذن .

(٢) الرفد بالكسر العطاء والصلة .

(٣) أصل الذنب ومؤخر كل شىء . (٤) أعمامه من مضر ، وأخواله من قحطان .

(٥) يشير إلى حديث الهدهد مع سليمان .

(٦) يشير إلى ما يزعمه المؤرخون من أن سبب سيل العرم كان قرض جرذ لسد مأرب .

(٧) هى بلقيس ملكة سبأ .

وفاخر خالد بن صفوان رجلا من بنى عبد الدار (١) فقال له العبدرى : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان ، فقال : أنت خالد « كن هو خالد فى النار » ، وأنت بن صفوان « كمثل صفوان عليه تراب » ، وأنت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم (٢) ، فقال له خالد : يا أخا بنى عبد الدار أتتكلم وقد هشمتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وجمحتك جمح (٣) ، فأنت عبد دارهم تفتح إذا دخلوا ، وتغلق إذا دخلوا ، وتغلق إذا خرجوا . فقام العبدرى محموما .

ولما عزم معاوية — رضى الله عنه — على البيعة ليزيد كتب إلى زياد أن يوجه إليه وفد أهل العراق فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة فتكلمت الخطباء فى يزيد ، والأحنف بن قيس ساكت ، فلما فرغوا قال : قل يا أبا بحر فان العيون إليك (٤) أشرع منها إلى غيرك ، فقام الأحنف : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

يا أمير المؤمنين إنك أعلمنا بيزيد فى ليله ونهاره ، وإعلانه وإسراره ، فان كنت تعلمه لله رضا فلا تشاور فيه أحدا ولا تقم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت تعلم بعده من الله فلا تزوده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة ، فانك تصير إلى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، فكأنه أفرغ على معاوية ذنوب (٥) ماء بارد .

فقال له : اقعد يا أبا بحر فان خيرة الله تجرى وقضاءه يمضى وأحكامه تنفذ ، لا معقب (٦) لحكمه ولا راد لقضائه ، وإن يزيد فتى بلوناه ولم نجد فى قريش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .

فقال : يا أمير المؤمنين أنت تحكى عن شاهد ونحن نتكلم على غائب ، وإذا أراد الله شيئا كان .

---

(١) عبد الدار أحد أبناء قصى ، قيل إنه نشأ مضعفاً دون إخوته فأعطاه أبوه دار الندوة ومفتاح الكعبة ليشرف بها . (٢) الهتم تكسر الأسنان من أصولها .

(٣) كل من ذكر من هامات قريش .

(٤) أشرع ارفع وأكثر نظراً . (٥) الذنوب : الدلو الملآى ، جمعه أذنبة وذنائب . (٦) أى لا راد لقضائه .

وقال وقد سئل : من أكرم النساء ؟ هى التى إذا عبس زوجها تبسمت ، وإذا صنعت شيأ جودت ، التى تلزم بيتها ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود ، الولود ، وامرها محمود ، ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى مسجد البصرة ، فقال ماهذه الجماعة قالوا على امرأة تدل على النساء فأتاها فقال لها أبغى امرأة قالت فصفها قال أريد بكرا كثيب أو ثيبا كبكر حلوة من قريب ضخمة من بعيد، كانت فى نعمة وأصابتها حاجة ففيها أدب النعمة وذلة الحاجة إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا وإذا افترقنا كنا أهل آخرة. قالت قد أصبتها لك، قال فأين هى؟ قالت فى الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها . وقال خالد لأبى العباس السفاح وكانت عنده أم سلمة بنت يعقوب ابن سلمة المخزومى وكان تزوجها قبل الخلافة وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى: يا أمير المؤمنين انى تفكرت فى أمرك مع سعة ملكك وقد ملكتك امرأة واحدة إن مرضت مرضت لمرضها وإن غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ بالجوارى ومعرفة جلالتهن فان منهن الطويلة الغيداء والغضة البيضاء والعقيقة الادماء والرقيقة السمراء والبربرية العجزاء يفتن بمحادثتهن عن بنات الأحرار والنظر اليهن ولو رأيت الطويلة البيضاء والسمراء العيناء والبيضاء العجزاء والمولدة من البصريات والكوفيات ذوات الألسن العذبة والقدود المهفهفة والأوساط المخصرة والأصداغ المزرنقة والعيون المكحلة والثدى المحققة وحسن زينتهن وزينهن وشكلهن لرأيت شكلا حسنا فقال له ويحك ياخالد ماسلك مسامعى والله كلام أحسن مما سمعت منك فانصرف وبقى أبو العباس متفكراً فدخلت عليه أم سلمة فرأته مغموما فقالت له إنى لأنكرك ياأمير المؤمنين هل أتاك خبر فارتعت له قال لا قالت فما قصتك فزوى وجهه عنها فلم تزل به حتى أخبرها قالت فما قلت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت مغضبة وأرسلت اليه جماعة من العبيد وبأيديهم مقامع من حديد وأمرتهم أن لا يتركوا من خالد عضوا صحيحاً قال خالد فانصرفت مسرورا لما رأيت من إعجابه بما ألقيت عليه ولم أشك أن صلتى ستأتينى فانى القاعد على باب دارى وإذا بالعبيد قد أقبلوا نحوى فلم أشك فى الجائزة فسألوا عنى فقلت أنا خالد فأهوى أحدهم إلى بهراوة فوثبت إلى منزلى وعلمت أنى أتيت من أم سلمة وطلبنى أبو العباس طلبا شديداً وأنا مستخف فهجم على فى الثالث فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت فدخلت عليه وليس فى وجهى دم فسلمت وجلست وإذا خلف ظهرى ستر خلفه حركة فقال لى ياخالد أين كنت منذ ثلاثة أيام؟ قلت عليلا قال انك وصفت لى من أخبار النساء

والجوارى ما لم يخرق مسامعى قط شىء أحسن منه فأعده على قلت نعم أعلمتك يا أمير المؤمنين أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر وان أحدهم لم يكن عنده أكثر من واحدة إلا كان فى جهد قال ويحك لم يكن هذا فى الحديث قلت بلى والله وأعلمتك أن الثلاث من النساء كأنهن فى القدر يغلى عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله ان كنت سمعت هذا منك فى حديثك قلت وأخبرتك أن الاربع شؤم مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويقصمنه قال والله ماسمعت هذا منك قط قلت بلى والله يا أمير المؤمنين قال ويحك وتكذبنى قلت وتريد أن تقتانى قال مر فى حديثك قلت وأخبرتك أن أبكار النساء رجال ولكن لا خصى لهن قال وسمعت الضحك من وراء الستر قلت وأخبرتك أن بنى مخزوم ريحانة قريش وعندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح إلى غيرها من الاماء فقيل لى من وراء الستر صدقت والله ياعماه وبررت وبهذا حدثته ولكنه غير وبدل فقال لى أبو العباس مالك قاتلك الله وأخزاك وفعل وفعل فتركته وخرجت فما شعرت إلا برسل أم سلمة ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام فقبضتها . وخالد بن صفوان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشىء وذمه . . . وقال أبو العباس السفاح لخالد وعنده اخواله الحارثيون كيف علمك بأخوالى ياخالد قال ياأمير المؤمنين هم هامة الشرف وعرنين الكرم وغرس الجود وفيهم خصال ليست لغيرهم ، انهم لأصونهم أما ، وأحسنهم أمما وأكرمهم شيما وأطيبهم طعما وأوفاهم ذمما وأبعدهم هما الجمرة فى الحرب والرفد عند الجدب وهم الرأس فى كل خطب وغيرهم بمنزلة العجب فقال لقد وصفت ياابن صفوان فأحسنت فزاد اخواله فى الفخر فغضب ابو العباس لأعمامه فقال افخر يا خالد فقال أعلى أخوال أمير المؤمنين قال فأين أنت من أعمامه قال كيف أفاخر قوما هم بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم هدهد وأغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة .

عبد الله بن الزبير

١ — ٧٣ هـ

ولد فى عام الهجرة من أبوين كريمين : الزبير بن العوام وأسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين .

وشاهد عصر الرسول وأبى بكر وعثمان وعلى واشترك فى كثير من الفتوحات الاسلامية ثم خرج مع طلحة وعائشة أم المؤمنين على على بالبصرة .

وظل مدة معاوية عاكفاً على العبادة إلى أن حدثت أحداث سياسية كبرى فى عهد يزيد بن معاوية .

وفى عهد يزيد كان ابن الزبير يطعن على بنى أمية فأرسل إليه يزيد عشرة من أهل الشام عليهم النعمان بن بشير ، وكان أهل الشام يسمون أولئك العشرة النفر الركب ، وهم عبد الله بن عضاه الأشعرى ، وروح بن زنباع الجذامى ، وسعيد بن حمزة الهمدانى ، ومالك بن هبيرة السكونى ، وأبو كبشة السكسكى ، وزمل بن عمرو العذرى ، وعبد الله بن مسعدة الفزارى وأخوه عبد الرحمن ، وشريك بن عبدالله الكنانى ، وعبد الله بن عامر الهمدانى ، وجعل عليهم النعمان بن بشير ، فأقبلوا حتى قدموا مكة على ابن الزبير ، فكان النعمان يخلو به فى الحجر كثيراً ، فقال له عبد الله بن عضاه يوما : يا ابن الزبير ، إن هذا الأنصارى والله ما أمر بشىء إلا وقد أمرنا بمثله ، إلا أنه قد أمر علينا ، وإنى والله ماأدرى ما بين المهاجرين والأنصار ، فقال ابن الزبير : يابن عضاه ، مالى ولك ؟ إنما أنا بمنزلة حمام من حمام مكة ، أفكنت قاتلا حماما من حمام مكة ؟ قال : نعم ، وما حرمة حمام مكة ؟ يا غلام ائتنى بقوسى وأسهمى ، فأتاه بقوسه وأسهمه ، فأخذ سهما فوضعه فى كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال: ياحمامة ، أيشرب يزيد بن معاوية الخمر ؟ قولى : نعم ، فوالله لئن فعلت لأرمينك . ياحمامة ، أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتقيمين فى الحرم حتى يستحل بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينك . فقال ابن الزبير : ويحك ! أويتكلم الطائر ؟ قال : لا ،

ولكنك يابن الزبير تتكلم ، أقسم بالله لتبايعن طائعا أو مكرها أو لتعرفن راية الأشعريين فى هذه البطحاء ثم لا أعظم من حقها ما تعظم . فقال ابن الزبير : أويستحل الحرم ؟ قال : إنما يحله من ألحد(١) فيه ، فحبسهم شهراً ثم ردهم إلى يزيد ولم يجبه إلى شيء ، وقال أبو العباس الأعمى يذكر ذلك :

مازال فى سورة الأعراف يدرسها	حتى فؤادى مثل الخز فى اللين
لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد	أفضلت فضلا كثيراً للمساكين

ثم إن ابن الزبير مضى إلى صفية بنت أبى عبيد زوج عبد الله بن عمر فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله عليه السلام والمهاجرين والأنصار من أثرة معاوية وابنه وأهله بالفيء(٢) ، وسألها مسألة زوجها أن يبايعه ، فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده وأثنت عليه وقالت : مايدعو إلا إلى طاعة الله عز وجل ، وأكثرت القول فى ذلك . فقال لها : أما رأيت بغلات معاوية اللواتى كان يحج عليهن الشهب ؟ فان ابن الزبير مايريد غيرهن ، وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالاه على ذلك أكثر الناس ، فدخل عبد الله بن مطيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد ، فقال عبد الله ابن أبى عمرو بن حفص المخزومى : خلعت يزيد كما خلعت عمامتى ، ونزعها عن رأسه ، وقال : إنى لأقول هذا وقد وصلنى وأحسن جائزتى ولكن عدو الله سكير خمير ، وقال آخر : خلعته كما خلعت نعلى . وقال آخر : خلعته كما خلعت ثوبى . وقال آخر : خلعته كما خلعت خفى ، حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع عبد الله بن عمر ومحمد بن على بن أبى طالب، وجرى بين محمد خاصة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قول كثير حتى أرادوا إكراهه على ذلك فخرج إلى مكة ، وكان هذا أول ماهاج الشر بينه وبين ابن الزبير ، واجتمع أهل المدينة لاخراج بنى أمية عنها فأخذوا عليهم العهود ألا يعينوا عليهم الجيش وأن يردوهم عنهم ، فان لم يقدروا على ردهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم .

أعلن ابن الزبير استقلاله السياسى عن بنى أمية فى الحجاز وبذلك أضحى للمسلمين

---

(١) ألحد فى الحرم : ترك القصد فيما أمر به ومال إلى الظلم .

(٢) الفيء : الغنيمة أو الخراج .

خليفتان أحدهما بالحجاز وهو ابن الزبير والثانى بدمشق وهو يزيد ثم مروان بن عبد الملك الذى اغتصب الخلافة الأموية لنفسه.. وولى الزبير أخاه مصعبا على العراق.

وفى عام ٦٥ هـ توفى مروان وتولى الملك بعده ابنه عبد الملك ، وكان عبد الملك حازما صارما حصيفا أريبا ذا عزيمة ورأى شديد ، ولكنه كان مع هذا كله يتهيب ابن الزبير ، لما ثبت له فى قلوب الناس من المكانة ، ولأن كثرة الأمصار الاسلامية تؤيده . وفكر عبد الملك فى الأمر طويلا ، ثم طفق يعد للحرب عدتها ، فأخذ يحشد الجنود ، ويعرضها بنفسه ، وصمم أن يحسم هذه المشكلة الخطيرة التى بينه وبين منافسه .

جاءه مصعب أخاه بجماعة من أعيان العراق ، بعد أن مهدها وملك زمامها ، وخاطبه قائلا : « لقد جئتك بوجوه أهل العراق ورجالاتها ، ليؤكدوا لك البيعة وليأخذوا منك العطايا ! » . فقال : إنما جئتنى بعبيد أهل العراق ، يستنزفون بيت المال ، لوددت أن لى بهم صرف الدينار بالدرهم ! » .

ويقول المسعودى : أظهر عبد الله الزهد وملازمة العبادة مع الحرص على الخلافة ، وشبع بطنه . وليس من شك فى أن سياسة التقتير التى نهجها كانت سياسة عاجزة ، لا تنتج إلا الهزيمة وسقوط الدعوة ، وضياع الأمر .

ثم حدثت معارك وحروب شديدة بين جيوش عبد الملك وجيوش ابن الزبير وولى عبد الملك قائده الحجاج قيادة الجيش الذى ذهب ليقضى على ابن الزبير وخلافته وحاصره فى مكة وأخيراً سقط ابن الزبير شهيداً فى المعركة عام ٧٣ هـ .

ودخل(١) ابن الزبير على أمه(٢) حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال : يا أمه ، خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، فلم يبق معى إلا اليسير ممن

---

(١) تاريخ الطبرى ص ٢٠٣ ج ٧ ، بلاغات النساء ص ١٣٠ ، العقد الفريد ص ٢٧١ ج ٢ .

(٢) هى أسماء بنت أبى بكر الصديق وهى من قريش، من فضليات نساء العرب، وأخت عائشة لأبيها توفيت سنة ٧٣ هـ ، وهذه المحاورة كانت حين حاصر الحجاج ابن الزبير فى مكة . وحين خذل عبد الله أعوانه .

ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا ، فما رأيك ؟

فقالت : أنت والله يابنى أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بنى أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبـــد أنت ، أهلكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك ، وإن قلت : كنت على حق ، فلما وهن أصحابى ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين . . . وكم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن! والله لضربة بالسيف فى عز أحب إلىّ من ضربة بسوط فى ذل ، قال : إنى أخاف إن قتلونى أن يمثلوا بى . قالت : يابنى ، إن الشاة لايضرها سلخها بعد ذبحها .

فدنا ابن الزبير ، فقبل رأسها ، وقال . هذا والله رأبى ، والذى قمت به داعيا إلى يومى هذا ، ماركنت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعانى إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه ، ولكنى أحببت أن أعلم رأيك ، فزدتنى بصيرة مع بصيرتى ، فانظرى يا أمه فانى مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسلمى الأمر لله ، فان ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عملا بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به ، بل أنكرته ، ولم يكن شىء آثر عندى من رضا ربى ، اللهم إنى لا أقول هذا تزكية منى لنفسى ، أنت أعلم بى ، ولكن أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى .

فقالت أمه : إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى ، وإن تقدمتك ففى نفسى حرج حتى أنظر إلام يصير أمرك ، قال : جزاك الله يا أمه خيراً ، فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد ، فقالت : لا أدعه أبداً ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ! ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى ، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين .

ثم ودعها وخرج ، ولم يلبث أن قتل رحمه الله .

وكان ابن الزبير بليغاً فصيحاً ، ذا بيان ولسن وله خطب بليغة وحكم مروية .

ويروى أن الحسين بن على دخل يوما على معاوية وعنده ابن الزبير فرحب به وأجلسه على سريره وقال : ترى هذا القاعد وأشار إلى ابن الزبير ، فانه ليدركه الحسد لبنى عبد مناف(١) فقال ابن الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن إن شئت أعلمتك فضل الزبير على أبيك أبى سفيان فعلت ، فقال معاوية :

قاتلك الله يابن الزبير ما أعياك وأبغاك(٢) ! أتفخر بين يدى أمير المؤمنين وأبى عبد الله(٣)؟ إنك أنت المتعدى لطورك، الذى لاتعرف قدرك ، فقس شبرك بفترك(٤) ، ثم تعرف كيف تقع بين عرانين بنى مناف(٥) ، أما والله لئن دفعت فى بحور بنى هاشم وبنى عبد شمس لتقطنعك بأمواجها،ثم لتوهين بك فى أجاجها(٦)، فما بقاؤك فى البحور إذا غمرتك ، وفى الأمواج إذا بهرتك(٧)؟ هنالك تعرف نفسك وتندم على ماكان من جرأتك ، وتمنى(٨) ما أصبحت فيه من أمان ، وقد حيل بين العير والنزوان(٩) .

فأطرق ابن الزبير مليا ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله وقال :

أسألكم بالله ، أتعلمون أن أبى حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠) ، وأن أباه أباسفيان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق وأمه هند آكلة الأكباد (١١) ، وجدى الصديق وجده المشدوخ

---

(١) عبد مناف الجد الذى يجمع بين بنى هاشم وبنى أمية فهاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أما آل الزبير فمن عبد العزى أخى عبدمناف ابن قصى .

(٢) ما أعياك : ما أعجزك : (٣) كنية الحسين .

(٤) الشبر : مابين طرفى الإبهام والخنصر و والفتر : مابين الابهام والسبابة .

(٥) العرنين فى الأصل الأنف او ماصلب من عظمه وهو هنا السيد الشريف .

(٦) أوهاه: أسقطه: والأجاج: الماء الملح المر . (٧) بهره بهراً كفتح غلبه .

(٨) أصله تتمنى ، ويروى وتمسى بمعنى تودع .

(٩) العير الحمار وغلب على الوحشى ، ونزا : وثب .

(١٠) الحوارى الناصر أو ناصر الأنبياء .

(١١) يشير إلى مافعلته هند يوم أحد فى كبد حمزة رحمه الله .

ببدر ورأس الكفر (١) ، وعمتى خديجة ذات الخطر والحسب وعمته أم جميل حمالة الحطب (٢) ، وزوج عمتى خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب ، « سيصلى ناراً ذات لهب » ، وخالتى عائشة أم المؤمنين وخالته أشقى الأشقين ، وأنا عبد الله وهو معاوية . فقال معاوية :

ويحك يابن الزبير ! كيف تصف نفسك بما وصفتها ، والله مالك فى القديم من رياسة ، ولا فى الحديث من سياسة ، ولقد قدناك وسقناك قديماً وحديثاً ، لاتستطيع لذلك إنكاراً ، ولا عنه فراراً ، وإن هؤلاء الحضور ليعلمون أن قريشاً قد اجتمعت يوم الفجار (٣) على رياسة حرب بن أمية ، وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضون بامارته غير منكرين لفضله ولا طامعين فى عزله ، إن أمر أطاعوا وإن قال أنصتوا ، فأنزل الله فينا القيادة وعز الولاية ، حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم ، فانتخبه بين خير خلقه ، من أسرتى لا لأسرتك ، وبنى أبى لابنى أبيك ، فجحدته قريش أشد الجحود وأنكرته أشد الانكار ، وجاهدته أشد الجهاد ، إلا من عصم الله من قريش ، فما ساد قريشا وقادهم إلا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفئتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ، ورئيس الضلالة منا ، فهديكم تحت راية مهدينا ، وضالكم تحت راية ضالنا ، فنحن الأرباب وأنتم الأذناب ، حتى خلص الله أباسفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه ، وعصمه بالاسلام من عبادة الأصنام ، فكان فى الجاهلية عظيما شأنه ، وفى الاسلام معروفا مكانه ، ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يعط أحد من آبائك ، وإن منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى « من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » فكانت داره حرما لا دارك ولا دار أبيك . وأما هند فكانت امرأة من قريش فى الجاهلية عظيمة الخطر ، وفى الاسلام كريمة الخبر ، وأما جدك الصديق فبتصديق عبد مناف سمى صديقا ، لا بتصديق عبد العزى ، وأما ماذكرت من جدى المشدوخ ببدر ، فلعمرى لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه فلو برزت إليه

---

(١) المشدوخ المكسور المقتول وهو يعنى عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه .

(٢) هى زوج أبى لهب وفيهما نزلت السورة .

(٣) هى حرب هاجت بين قريش وكنانة ، وبين هوازن .

أنت وأبوك مابارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء ، كما طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفاؤهم من بنى أبيهم ، فقضى الله مناياهم بأيديهم ، فنحن قتلنا ونحن قتلنا ، وما أنت وذاك ؟ ، وأما عمتك أم المؤمنين فبنا شرفت وسميت أم المؤمنين ، وخالتك عائشة مثل ذلك ، وأما صفية فهى التى أدنتك من الظل ، ولولا هى لكنت ضاحيا(١) ، وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قريش أينا أجود فى الإزم(٢) ، وأحزم فى القدم(٣) ، وأمنع للحرم ، لا والله ما أراك منتهيا حتى تروم من بنى عبدمناف مارام أبوك ، فقد طالعهم الذحول ، وقدم إليهم الخيول ، وخدعتم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ مددتم على نسائكم السجوف(٤) ، وأبرزتم زوجه للحتوف ، ومقارعة السيوف ، فلما التقى الجمعان ، نكص أبوك هاربا فلم ينجه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحن الحصيد بأيدى العبيد(٥) ، وأما أنت فأفلت بعد أن خمشتك براثنه(٦) ونالتك مخاليبه ، وأيم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها(٧) أو لتصبحن منها صباح أبيك بوادى السباع(٨) ، وما كان أبوك المدهن حده (٩) ولكنه كما قال الشاعر :

تناول سرحان فريسة ضيغم … فقضقضه بالكف منه وحطما

---

(١) يشير إلى أن شرف آل الزبير جاءهم من مصاهرة أبيهم لعبد المطلب فى ابنته صفية . (٢) كعنب جمع أزمة وهى الشدة والقحط .

(٣) القدم بفتحتين السابقة فى الأمر .

(٤) جمع سجف بالفتح ويكسر وهو الستر .

(٥) كل مايحصد من زرع ؛ وقد كان الطحن يوكل أكثر مايوكل إلى العبيد .

(٦) خمشه : خدشه . (٧) الثقاف : حديدة تسوى بها الرماح .

(٨) اسم موضع وهو المكان الذى قتل فيه ابن جرموز الزبير بن العوام وهو قافل من وقعة الجمل .

(٩) الحد: البأس ، والمدهن: المغشوس ، يريد أن يقول إن الزبير كان ذا شجاعة ولكنه طمع فى بنى عبد مناف وهم أشجع منه .

ولما(١)قدم معاوية(٢) المدينة منصرفا من مكة ، بعث إلى الحسن ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا من كسا وطيب وصلات من المال ؛ ثم قال لرسله : ليحفظ كل رجل منكم مايرى ويسمع من الرد .

فلما خرج الرسل من عنده ، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم ؛ قالوا : أخبرنا يا أمير المؤمنين ؛ قال : أما الحسن فلعله ينيل نساءه شيئا من الطيب ، وينهب ما بقى من حضره ، ولا ينتظر غائبا .

وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفين ؛ فان بقى شىء نحر به الجزر وسقى به اللبن .

وأما عبد الله بن جعفر فيقول : يابديح(٣) ! اقض به دينى ؛ فان بقى شىء فأنفذ به عداتى(٤) .

وأما عبد الله بن عمر ؛ فيبدأ بفقراء عدى بن كعب ، فان بقى شىء ادخره لنفسه ، ومان(٥) به عياله .

وأما عبد الله بن الزبير ؛ فيأتيه رسولى ، وهو يسبح ، فلا يلتفت إليه ، ثم يعاوده الرسول ، فيقول لبعض كفاته: خذوا من رسول معاوية مابعث به ، وصله الله ، وجزاه خيراً ، لايلتفت إليها ، وهى أعظم فى عينه من أحد ، ثم ينصرف إلى أهله ، فيعرضها على عينه ، ويقول : ارفعوا ؛ لعلى أعود بها على ابن هند يوما ما .

وأما عبد الله بن صفوان فيقول : قليل من كثير ، وما كل رجل من قريش وصل إليه كهذا ، ردوا عليه ؛ فان رد قبلناها .

فرجع رسله من عندهم بنحو مما قاله معاوية ؛ فقال معاوية : أنا ابن هند ! أعلم بقريش من قريش !

---

(١) ٣٤٠ عيون الأخبار .

(٢) أسلم معاوية عام الفتح ، وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وولى الشام لعمر وعثمان عشرين سنة وولى الخلافة سنة ٤١ ، وتوفى سنة ٦٠ هـ .

(٣) بديح : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر .

(٤) جمع عدة . (٥) مانه : قام بكفايته .

وتزوج(١) عبد الله بن الزبير أم عمرو ابنة منظور بن زبان الفزارية ، فلما دخل بها قال لها تلك الليلة : أتدرين من معك فى حجلتك(٢)؟ قالت : نعم! عبدالله ابن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى! قال : ليس غيرهذا ؟قالت: فما الذى تريد ؟ قال : معك من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين من الرأس !

قالت : أما والله لو أن بعض بنى عبد مناف حضرك لقال لك خلاف قولك ! فغضب ، وقال : الطعام والشراب على حرام حتى أحضرك الهاشميين وغيرهم من بنى عبد مناف فلا يستطيعون لذلك إنكاراً !

قالت : إن أطعتنى لم تفعل ، وأنت أعلم وشأنك .

فخرج إلى المسجد فرأى حلقة فيها قوم من قريش منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، فقال لهم ابن الزبير : أحب أن تنطلقوا معى إلى منزلى ، فقام القوم بأجمعهم ، حتى وقفوا على باب بيته . فقال ابن الزبير : ياهذه اطرحى عليك سترك .

فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فتغذى القوم ؛ فلما فرغوا قال لهم : إنما جمعتكم لحديث ردته على صاحبة الستر ! وزعمت أنه لو كان بعض بنى عبد مناف حضرنى لما أقر لى بما قلت . وقد حضرتم جميعا ، وأنت يابن عباس ، ماتقول؟ إنى أخبرتها أن معها فى خدرها من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين من الرأس . فردت على مقالتى !

فقال ابن عباس : أراك قصدت قصدى ؛ فان شئت أن أقول قلت ! وإن شئت أن أكف كففت ! قال : بل قل ، وما عسى أن تقول ؟ ألست تعلم أن أبى الزبير حوارى رسول الله ، وأن أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين ، وأن عمتى خديجة سيدة نساء العالمين ، وأن صفية عمة رسول الله جدتى ، وأن عائشة أم المؤمنين خالتى ، فهل تستطيع لهذا إنكاراً ؟

قال ابن عباس : لا ، ولقد ذكرت شرفا شريفاً ، وفخراً فاخراً ؛ غير أنك

---

(١) ابن أبى الحديد ص ٥٠١ ج ٢

(٢) الحجلة : موضع يزين بالثياب والستور للعروس .

تفاخر من بفخره فخرت ، وبفضله سموت ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك لم تذكر فخراً إلا برسول الله وآله ، وأنا أولى بالفخر به منك .

قال ابن الزبير : لو شئت لفخرت عليك بما كان قبل النبوة ! قال ابن عباس : قد أنصف القارة(١) من راماها ، نشدتكم الله أيها الحاضرون، أعبد المطلب أشرف أم خويلد فى قريش ؟ قالوا : عبد المطلب ! قال : أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد ؟ قالوا : بل هاشم ؟ قال : أفعبد مناف كان أشرف أم عبد العزى ؟ قالوا : عبد مناف ! فقال ابن عباس :

تنافرنى يابن الزبير وقد قضى عليك رسول الله لاقول هازل
ولو غيرنا يابن الزبير فخرته ولكنما ساميت شمس الأصائل

قضى لنا رسول الله بالفضل فى قوله: «ما افترقت فرقتان إلا كنت فى خيرهما» . فقد فارقناك من بعد قصى(٢) بن كلاب ، أفنحن فى فرقة الخير أم لا ؟ إن قلت : نعم ! خصمت(٣) ، وإن قلت : لا ! كفرت .

فضحك بعض القوم ؛ فقال ابن الزبير : أما والله لولا تحرمك(٤) بطعامنا يابن عباس لأعرقت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك !

قال ابن عباس : ولم أبباطل ! فالباطل لايغلب الحق ، أم بحق ! فالحق لايخشى من الباطل .

فقالت المرأة من وراء الستر: إنى والله قد نهيته عن هذا المجلس فأبى إلا ماترون فقال ابن عباس : مه أيتها المرأة، اقنعى ببعلك، فما أعظم الخطر، وما أكرم الخبر .

فأخذ القوم بيد ابن عباس — وكان قد عمى — فقالوا : انهض أيها الرجل فقد أفحمته غير مرة ، فنهض وهو يقول :

---

(١) القارة : قبيلة ، وفى اللسان : زعموا أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى والآخر أسدى ، فقال القارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الأسدى: قد اخترت المراماة، فقال القارى: قد أنصفتنى وأنشد :

قد أنصف القارة من راماها إنا إذا مافئة نلقاها
نرد أولاها على أخراها

(٢) كان من أولاد قصى عبد العزى « ومن سلالته ابن الزبير » وعبد مناف (ومن سلالته بنو هاشم) . (٣) غلبت . (٤) تحرمك : احتماؤك .

ألا ياقومنا ارتحلوا وسيروا　　　فلو ترك القطا لغفا وناما

فقال ابن الزبير : ياصاحب القطا ، أقبل على ، فما كنت لتدعنى حتى أقول ، وأيم الله لقد عرف الأقوام أنى سابق غير مسبوق ، وابن حوارى(١) وصديق ، متبجح(٢) فى الشرف الأنيق ، خير من طليق(٣) وابن طليق .

فقال ابن عباس : هذا الكلام مردود من امرىء حسود ، فان كنت سابقا فالى من سبقت ؟ وإن كنت فاخراً فبمن فخرت ؟ فان كنت أدركت هذا الفخر بأسرتك دون أسرتنا فالفخر لك علينا ، وإن كنت إنما أدركته بأسرتنا فالفخر لنا عليك ، والكثكث(٤) فى فمك ويديك .

وأما ماذكرت من الطليق ، فوالله لقد ابتلى فصبر ، وأنعم عليه فشكر ، وإن كان ـ والله ـ وفياً كريماً غير ناقض بيعة بعد توكيدها ، ولا مسلم كتيبة بعد التأمر(٥) عليها .

فقال ابن الزبير : أتعير الزبير بالجبن ؟ والله إنك لتعلم منه خلاف ذلك ! قال ابن عباس : والله إنى لا أعلم إلا أنه فر وما كر ، وحارب فما صبر ، وبايع فما تمم ، وقطع الرحم ، وأنكر الفضل ، ورام ماليس له بأهل :

وأدرك منها بعض ما كان يرتجى　　　وقصر عن جرى الكرام وبلدا
وما كان إلا كالهجين أمامه　　　عتاق(٦) فجاراه العتاق فأجهدا

فقال ابن الزبير : لم يبق يابنى هاشم غير المشاتمة والمضاربة ، فقال عبد الله بن الحصين بن الحارث : أقمناه عنك يابن الزبير ، وتأبى إلا منازعته ! والله لو نازعته من ساعتك إلى انقضاء عمرك ماكنت إلا كالسغب(٧) الظمآن ، يفتح فاه يستزيد من الريح ، فلا يشبع من سغب ، ولا يروى من عطش ، فقل إن شئت أو فدع ، وانصرف القوم .

---

(١) الحوارى فى الأصل كل مبالغ فى نصرة آخر ، وقد لقب الزبير بذلك . والصديق أبو بكر ، وهو أبو أسماء أم عبد الله بن الزبير .

(٢) التبجح : الافتخار والتعظم .

(٣) يعرض بالعباس بن عبد المطلب ، وقد أسره المسلمون يوم بدر ، وأطلقه رسول الله بعد أن أخذ منه الفدية .　　　(٤) الكثكث : التراب .

(٥) يعرض بالزبير وقد بايع على بن أبى طالب ثم نكص .

(٦) العتاق : جمع عتيق وهو الكريم من الخيل ، والهجين : ماليس عتيقاً .

(٧) السغب : الجائع .

ودخل عبد الله بن صفوان على عبد الله (١) بن الزبير — وهو يومئذ بمكة — فقال : أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تصبك من الأيام جائحة ... لا أبك منك على دنيا ولا دين

فقال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس ، وعبيد الله أخوه يطعم الناس ، فما أبقيا لك ؟ فأحفظه ذلك . وأرسل صاحب شرطته عبد الله ابن مطيع وقال له : انطلق إلى ابني عباس ، فقل لهما : أعمدتما إلى راية ترابية قد وضعها الله ، فنصبتماها ! بددا عني جمعكما ، ومن ضوى (٢) إليكما من ضلال أهل العراق وإلا فعلت وفعلت .

فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس ، ثكلتك أمك ! والله ما يأتينا من الناس غير رجلين : طالب فقه أو طالب فضل ، فأي هذين تمنع ؟ فقال أبو الطفيل (٣) :

لا در در الليالي كيف تضحكنا ... منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الأيام من غير ... يا ابن الزبير عن الدنيا تسلينا
كنا نجيء ابن عباس فيقبسنا (٤) ... علماً ويكسبنا أجراً ويهدينا
ولا يزال عبيد الله مترعة ... جفانه مطعما ضيفاً ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما ... ننال منها الذي نبغي إذا شينا
إن النبي هو النور الذي كشفت ... به عمايات باقينا وماضينا
ورهطه عصمة في ديننا ولهم ... فضل علينا وحق واجب فينا
ولست ـ فاعلمه ـ أولى منهم رحماً ... يا ابن الزبير ولا أولى به ديناً
ففيم تمنعهم عنا وتمنعنا ... منهم وتؤذيهم فينا وتؤذينا ؟
لن يؤتي الله من أخزى ببغضهم ... في الدين عزاً ولا في الأرض تمكيناً

---

(١) انظر صفحة ١٦١ ج ١٣ الأغاني . (٢) ضوى : انضم .
(٣) هو عامر بن واثلة ، كانت له صحبة رسول ﷺ وعمر بعده طويلاً وكان من شيعة علي بن أبي طالب ، وله منه محل خاص . (٤) يقبسنا : يعلمنا .

زياد بن أبيه

١ — ٥٣ ﻫ

أمه سمية كانت أمة للحارث بن كلدة الطبيب الثقفي وهبها إياه أحد دهاقين كسكر ثم زوجها الحارث من غلام رومى اسمه عبيد كان من موالى ثقيف فولدت له زيادا وصار يقال له زياد بن عبيد وذلك فى السنة الأولى من الهجرة وقد أسلم فى خلافة أبى بكر واستكتبه المغيرة بن شعبة حين ولى الكوفة كما استكتبه أبو موسى الأشعرى لما ولى البصرة فى عهد عمر . ويقول ابن الأثير : ثم إن عمر بن الخطاب استكفى زياداً أمراً فقام فيه مقاما مرضيا فلما عاد اليه حضر وعنده المهاجرون والأنصار فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها فقال عمرو بن العاص لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه ، وقد أعتزل زياد موقعة الجمل فعتب عليه على بعد جلائها فاعتذر عن عدم اشتراكه فيها . ثم عرض عليه ولاية البصرة فأشار باسنادها إلى أحد من أهل البيت فأسندت إلى عبد الله ابن عباس وجعل زياد على الخراج وبيت المال . وفى عام ٣٩ ﻫ استعمله على فارس فضبطها وحمى قلاعها وأعاد الطمأنينة إليها بعد انتقاض أهلها..روى الطبرى أن عليا استشار الناس فى رجل يوليه فارس حين امتنعوا من أداء الخراج فقال له جارية بن قدامة ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأى عالم بالسياسة لما ولى قال من هو ؟ قال زياد قال هو لها ، فولاه فارس وكرمان ووجهه فى أربعة آ لاف فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا .

وكان أهل فارس يقولون : ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربى فى اللين والمداراة والعلم بما يأتى .

وكان زياد عاملا لعلى بن أبى طالب على فارس فلما مات على وبايع الحسن معاوية عام الجماعة بقى زياد بفارس وقد ملكها وضبط قلاعها فاغتم بهمعاوية فأرسل إلى المغيرة بن شعبة فلما دخل قال : لكل نبأ مستقر ولكل سر مستودع وأنت موضع سرى وغاية ثقتى فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين ان تستودعنى سرك تستودعه ناصحا شفيقا ورعا صديقا فما ذاك يا أمير المؤمنين قال : ذكرت زياداً واعتصامه بأرض فارس ومقامه بها وهو داهية العرب ومعه الأموال وقد تحصن بأرض فارس وقلاعها يدبر الأمور فما يؤمننى أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت فاذا هو قد أعادها جذعة

قال له المغيرة : أتأذن لى فى إتيانه قال : نعم ، فخرج إليه فلما دخل عليه وجده وهو قاعد فى بيت له مستقبل الشمس فقام إليه زياد ورحب به وسر بقدومه وكان له صديقا ، فلما تفاوضا فى الحديث قال له المغيرة : أعلمت أن معاوية استخفه الوجل حتى إليك ولا نعلم أحداً يمد يده إلى هذا الأمر غير الحسن وقد بايع معاوية، فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغنى عنك معاوية ، قال : أشر على وارم الغرض الأقصى فان المستشار مؤتمن ، قال : أرى أن تصل حبلك بحبله وتسير إليه وتعير الناس أذنا صماء وعيناً عمياء ، قال : ابن شعبة لقد قلت قولا لايكون غرسه فى غير منبته لا أصل له يغذيه ، ولا ماء يسقيه كما قال زهير :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل

ثم قال : أرى ويقضى الله .

وفى عام ٤٤ هـ استلحقه معاوية بنسبه لأن أبا سفيان كان قد نام مع سمية فى الجاهلية .

وفى سنة خمس وأربعين تقلد زياد ولاية البصرة وخراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

وفى عام ثلاثة وخمسين كتب زياد إلى معاوية : إنى ضبطت لك العراق بشمالى ويمينى فارغة . فضم إليه معاوية العروض وما يليها ، وفى رواية أخرى أنه كتب إليه إنى ضبطت لك العراق بشمالى ويمينى فارغة فاشغلها بالحجاز ، فكتب له عهداً ولكنه لم يل من ذلك شيئا لدنو أجله ، فقد مرض فى رمضان من تلك السنة بالطاعون ومات منه ، ودفن بالثوية إلى جانب الكوفة .

ويروى أن بنى أمية دخلوا على معاوية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم ، عندما استلحق زيادا ، فقال له عبد الرحمن : يامعاوية ، لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة — يعنى على بنى أبى العاص .

فأقبل معاوية على مروان ، وقال : أخرج عنا هذا الخليع(١) ! فقال مروان :

---

(١) الخليع: الرجل يجنى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيبرءون منه ومن جناياته، والخليع أيضاً المستهتر بالشرب واللهو والملازم للقمار .

أى والله إنه لخليع ما يطاق ! فقال معاوية : والله لولا حلمى وتجاوزى لعلمت أنه يطاق ، ألم يبلغنى شعره فى وفى زياد ؟ ثم قال مروان : أسمعنيه فأنشد :

ألا بلغ معـــاوية بن حرب ... فقد ضاقت بما يأتى اليدان

ثم قال : والله لا أرضى عنه ، حتى يأتى زياداً ، فيترضاه ، ويعتذر إليه !

فجاء عبد الرحمن بن الحكم إلى زياد معتذراً يستأذن عليه ، فلم يأذن له .

فأقبلت قريش تكلمه فى أمر عبد الرحمن ، فلما دخل سلم فتشاوس(١) إليه زياد بعينيه ، ثم قال : أنت القائل ماقلت ؟ قال عبد الرحمن : ماالذى قلت ؟ قال قلت ما لايقال ! قال : أصلح الله الأمير ، إنه لاذنب لمن أعتب(٢) ، وإنما الصفح عمن أذنب ، فاسمع منى ماأقول ! قال : هات ، فأنشده :

إليك أبا المغيرة تبت مما ... جرى بالشام من خطل(٣) اللسان
وأغضبت الخليفة فيك حتى ... دعاه فرط غيظ أن هجانى
وقلت لمن لحانى فى اعتذارى : ... إليك اذهب فشأنك غير شانى
عرفت الحق بعد ضلال رأيى ... وبعد الغى من زيغ الجنان
زياد من أبى سفيان غصن ... تهادى ناضراً بين الجنان
أراك أخاً وعماً وابن عم ... فما أدرى بعيب ماترانى
وإن زيادة فى آل حرب ... أحب إلى من وسطى بنانى
ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فقد ظفرت بما تأتى اليدان

فقال زياد : قد سمعنا شعرك ، وقبلنا عذرك ، فهات حاجتك ! قال : تكتب إلى أمير المؤمنين بالرضا عنى ، قال : نعم ، ثم دعا بكاتبه فكتب له بالرضا عنه ، فأخذ كتابه ومضى حتى دخل على معاوية ، فلما قرأه ، قال : لحا الله زيادا لم يتنبه لقوله : وإن زيادة فى آل حرب .

ثم رضى عن عبدالرحمن . ورده إلى حاله !

وكان زياد يقول : « لو ضاع حبل بينى وبين خراسان لعرفت آخذه » وكان

---

(١) تشاوس إليه : أى ينظر إليه بمؤخر عينيه ويميل وجهه فى شق العين التى ينظر بها .

(٢) أعتب : الإعتاب رجوع المعتوب عليه إلى مايرضى العاتب .

(٣) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب .

مكتوباً فى مجلسه عنوان سياسته وهى الشدة فى غير عنف واللين فى غير ضعف ، المحسن يجازى باحسانه والمسىء يعاقب باساءته .

أما فصاحته فيكفيك فى وصفها ما رواه الجاحظ عن الشعبى قال : « ماسمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسىء إلا زياداً ، فانه كلما أكثر كان أجود كلاماً » وتوفى بالكوفة فى رمضان سنة ٥٣ هـ ، كان بليغاً فصيحاً خطيباً ، وخطبته البتراء وقد سبقت فى نماذج الخطابة .

سحبان وائل

المتوفى عام ٥٤ هـ

هو سحبان بن زفر بن إياد الوائلى ، الخطيب المصقع ، ضرب به المثل فى البلاغة والبيان . نشأ فى الجاهلية بين قبيلة وائل إحدى قبائل ربيعة . ولما ظهر الإسلام أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية رضى الله عنه ، فكان يعده للملمات ، ويتوكأ عليه عند المفاخرة : لقوة عارضته وسرعة خاطره .

قدم(١) على معاوية وفد من خراسان وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلب سحبان فلم يجده فى منزله ، فاقتضب من ناحية اقتضاباً وأدخل عليه. فقال له معاوية تكلم فقال : أحضروا لى عصا - قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ - قال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه - فضحك معاوية وأمر له باحضارها ، فلما وصلت إليه ركلها فلم ترق فى نظره فطلب عصاه فأخذها ، ثم خطب من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنح ، ولا سعل ، ولا توقف ، ولا تلكأ ، ولا ابتدأ فى معنى وخرج منه وقد بقى منه شىء فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون ، فأشار إليه معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان لاتقطع على كلامى — فقال معاوية : الصلاة ، قال هى أمامك ، نحن فى صلاة وتحميد ، ووعد ووعيد . فقال معاوية : أنت أخطب العرب - قال سحبان : والعجم والجن والإنس .

وكان سحبان إذا خطب يسيل عرقاً ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ .

ومن خطبة له قوله : إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ، ولا تهتكوا استاركم عند من لاتخفى عليه أسراركم ،

---

(١) ٣٦ / ٤ زهر الآداب نشر الدكتور زكى مبارك .

وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدم ؟ قدموا بعضاً يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم .

عبد الحميد الكاتب

المتوفى ١٣٢ هـ

كاتب من أشهر الكتاب فى الأدب العربى وضرب ببلاغته المثل فقيل « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » .

هو عبدالحميد بن يحيى بن سعيد العامرى كان من موالى بنى عامر ، وكانت نشأته بالشام كانت الحروب والفتن والثورات آنئذ كثيرة بين بنى أمية بعضهم وبعض وبينهم وبين خصومهم السياسيين .

وشاهد عبد الحميد هذه الأحداث ووعاها فأفادته حصافة وعمقا وخبرة بالحياة نشأ أول أمره معلم صبيان ، ثم صاهر أبا العلاء سالما مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه على ديوان الرسائل وأحد بلغاء عصره والنقلة من اليونانية ، وتخرج عليه فى البلاغة وصناعة البيان وكتابة الرسائل .

وأخذ عبد الحميد يتنقل فى البلاد حتى عرف فضله وفطن له مروان بن محمد وهو وال على أرمينية فاتخذه مروان كاتباً له طول ولايته .

فلما رشح للخلافة عام ١٢٧ هـ وبايعه أهل الشام وبلغ ذلك مروان وهو بأرمينية سجد شكراً لله وسجد أصحابه إلا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ فقال : ولم أسجد ؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا؟ ، قال :

إذاً تطير معى ، قال : الآن طاب لى السجود وسجد .

أصبح مروان خليفة المسلمين بدمشق ، وأصبح عبد الحميد كاتب دولته .

وظل مروان خليفة حتى دهمته جيوش العباسيين عام ١٣٢ هـ فهرب إلى مصر فقبض عليه فيها وقتل فى العام نفسه .

كان عبد الحميد وفيا إلى أبعد حدود الوفاء لخليفته مروان ، قال له مروان يوما والعباسيون يتعقبونه : قد احتجت أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى فان إعجابهم

بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تحوجهم إلى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى وإلا لم تعجز عن حفظ حرمى بعد وفاتى .

فقال عبد الحميد : إن الذى أشرت به على أنفع الأمرين لك وأقبحهما بى وما عندى إلا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك وأنشد :

أسر وفاء ثم أظهر غدرة فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

ولما قتل مروان ، هرب عبد الحميد واختفى عند صديقه ابن المقفع ، فأتاه الطلب وهو فى بيته ، فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد فقال كل منهما : أنا خوفا على صاحبه ، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال ترفقوا بنافان كلامنا له علامات فوكلوا بنا بعضكم ، ويمضى بعض آخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا وأخذ عبد الحميد إلى السفاح فقتله عام ١٣٢ ﻫ .

كان عبد الحميد مثقفا ثقافة واسعة ، ويروى أنه كان يعرف اللغة اليونانية والنقل منها .

وكان متعمقا فى الأدب والشعر واللغة وثقافتها .

كان داهية عجيباً فى صنعة الكتابة ، وكانت رسائله تشبه السحر حتى أنه كما يروى كتب عن مروان رسالة إلى أبى مسلم بخراسان يدعوه إليه وضمنها ما لو قرأه أبو مسلم لأوقع الهزيمة فى صفوف العباسيين وقال لمروان :

« قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فان يكن ذلك وإلا فالهلاك ، وحمل الكتاب لضخامته على جمل فلما وصل إلى أبى مسلم أمر باحراقه قبل أن يقرأه وكتب على بعض جذاذاته :

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب

مذهب عبد الحميد فى الكتابة :

كان مذهب عبد الحميد نمطا فريدا من البلاغة والسحر

وساعده على ذلك ثقافته الأدبية واللغوية الواسعة ، وكان عبد الحميد يتعمق فى الثقافة ويدرس العربية وآدابها وعلوم الفرس واليونان المترجمة ، ويقتبس منها لذلك نشأ عبقريا فى كل ناحية من نواحى حياته

فكان أديبا خطيبا مترسلا راوية شجاعا

ومذهبه فى الكتابة يتلخص فيما يلى :

١ — كان يجمع بين الايجاز والإطناب فى رسائله .

٢ — وكان أسلوبه صورة واضحة مطبوعة مشرقة لنفسه ونهجا جـــديدا فى الأدب العربى .

٣ — وكان يتخير أنصع الألفاظ وأفصحها وأعذبها وأجزلها معنى وأدقها وأوفاها حجة وأنسقها ترتيبا

٤ — وهو أول من أطال الرسائل السلطانية والاخوانية والفنية وابتكر فيها كثيرا من صور البدء والختام وتعديد التحميدات لله فى الرسالة السلطانية المطولة وفى أوائل الكتب وكرر فى فصولها وجعل للاطناب مواضع وللايجاز مواضع .

٥ — ظهور أثر العمق والدقة والعقل المنظم فى كتابته .

٦ — تمثيل أسلوبه لشخصيته وتفكيره ولمذهبه الفنى فى النثر والرسائل .

وبعد فعبد الحميد عبقرية نادرة وبلاغة ساحرة ، وكاتب فذ من أشهر كتاب العربية المترسلين

عبد الحميد وآراء بعض النقاد :

كان أحمد بن يوسف يقول : فى رسائل عبد الحميد ألفاظ محككة ، وتجارب محنكة . وقال ابراهيم بن العباس الصولى : كان الكلام معانا له ، ماتمنيت كلام أحد من الكتاب يكون لى مثل كلامه. وقال أبو جعفر المنصور غلبتنا بنو أمية بثلاثة : بالحجاج ، وعبد الحميد ، والمؤذن البعلبكى .

وقال بن خلكان : كان فى الكتابة وفى كل فن من العلم والأدب إماما ، وعنه أخذ المترسلون ، ولطريقته لزموا ، ولآثاره اقتفوا ، وهو الذى سهل سبل البلاغة

وسأله بعض الادباء عن سر تفوقه فى الكتابة فقال : حفظ كلام الأصـــلع (يعنى عليا كرم الله وجهه) وقال أبو هلال العسكرى :

ومن عرف ترتيب المعانى واستعمل الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام ما تهيأ له فى الأولى ، ألا ترى

أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى استخرجها لمن رسمها بعده من الفارسى وحولها الى اللسان العربى

وقال ابن نباته المصرى م ٧٦٨ هـ فى سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون عن عبد الحميد :

« هو أول من اتخذ التحميدات فى فصول الكتاب واستعمل فى بعض كتبه الايجاز البليغ وفى بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال

آثار من بلاغته :

واليك بعض آثار من كتابته ورسائله ، وقد سبق بعضها فى نماذج النثر الفنى والكتابة الأدبية :

١ — قال عبد الحميد فى صورة تحميد له فى كتاب الفتح :

الحمد لله العلى مكانه ، المنير برهانه ، العزيز سلطانه ، الثابتة كلماته ، الشافية آياته ، النافذ قضاؤه ، الصادق وعده ، الذى قدر على خلقه بملكه ، وعز فى سمواته بعظمته .

ودبر الأمور بعلمه ، وقدرها بحكمة على ما يشاء من عزمه ، مبتدعا لها بانشائه إياها ، وقدرته عليها واستصغاره عظيمها . نافذاً إرادته فيها ، لا تجرى إلا على تقديره ، ولا تنتهى إلا إلى تبجيله ، ولا تقع إلا على سبق من حتمه ، كل ذلك بلطفه وقدرته ، وتصريف وحيه ، لا معدل له عنها ، ولا سبيل لها غيره ، ولا علم أحد بخفاياها ومعادها إلا هو ، فانه يقول فى كتابه الصادق : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » .

٢ - وكتب إلى أخيه فى مولود وكان أول مارزقه الله .

أما بعد : فانه ليس مما أتعرف من مواهب الله نعمة خصصت بمزيتها ، وأصفيت بخصيصتها كانت أسر لى من هبة الله لى ، ولذا سميته فلانا ، وأملت ببقائه بمدى حياة وذكرى وحسن خلافة فى حرمتى وإشراكه لى فى دعائه ، شافعاً لى إلى ربه عند خلواته فى صلاته وحجه ، وكل موطن من مواطن طاعته ، فاذا نظرت إلى شخصه تحرك به وجدى ، وظهر به سرورى ، وتعطفت (١) عليه منى أنسة (٢) الولد ، وتولت عنى وحشة الوحدة . فأنا به جذل فى مغيبى ومشهدى ، أحاول مس جسده

---

(١) تعطف : انعطف وانحنى . (٢) الأنسة : الأنس بالشىء .

بيدى فى الظلم ، وتارة أعانقه وأرشفه ، ليس يعدله (١) عندى عظيمات الفوائد ولا منفسات (٢) الرغائب ، سرنى به واهبه لى على حين حاجتى ، فشد به أزرى ، وحملنى من شكره فيه ما قد آدنى بثقل حمل النعم السالفة إلى به ، المقرونة سراؤها فى العجب بما يتداركنى من رقة الشفقة عليه مخافة مجاذبة المنايا إياه ، ووجلا من عواصف الأيام عليه .

فاسأل الله الذى من علينا بحسن صنعه (٣) فى الأرحام ، تأديبه بالذكاء ، وحراسته بالعافية ، وأن يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفى غيره ، وأن يجعل ماهب لنا من سلامته ، والمد فى عمره مرصدا (٤) بالزيادة ، مقرونا بالعافية ، محوطا من المكروه ، فانه المنان بالمواهب والواهب للنى ، لا شريك له ،

حملنى على الكتاب اليك لعلم ما سررت به علمى بحالك فيه وشركتك (٥) إياى فى كل نعمة أسداها إلى ولى النعم ، وأهل الشكر أولى بالمزيد من الله جل ذكره . والسلام عليك .

٣ — وكتب عن مروان إلى هشام يعزيه عن امرأة من حظاياه :

إن الله أمتع أمير المؤمنين من أنيسته وقربته متاعا مده إلى أجل مسمى . فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض إليه العارية ، ثم اعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها أنفس منها فى المنقلب ، وأرجح فى الميزان ، وأسنى فى العوض ، فالحمد لله رب العالمين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ومن رسائله رسالة الشطرنج (٦) ، وقد كتبها عن الخليفة إلى الأمصار يأمر الولاة بالضرب على أيدى المستهترين بهذه اللعبة . وقد شاعت إذ ذاك حتى صرفت الناس عن أمور معاشهم ومعادهم ، ونصها :

---

(١) عدله : ساواه .
(٢) شيء منفس كمخرج : يتنافس فيه .
(٣) أى حياطته وصيانته ، وذلك صنع من الله جميل وإحسان كبير .
(٤) مقروناً .   (٥) شركه : شاركه .
(٦) فى القاموس أنه بكسر الشين ولا تفتح ، وقيل الكسر أفصح :

أما بعد ، فإن الله شرع دينه بإنهاج سبله ، وإيضاح معالمه باظهار فرائضه ، وبعث رسله إلى خلقه دلالة لهم على ربوبيته ، واحتجاجا عليهم برسالته ومقدما اليهم بانذاره ووعيده — ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينه — ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وسلم وحيه ، وقفى به رسله ، وابتعثه لإحياء دينه الدارس مرتضيا له ، حين انطمست الأعلام مختفية ، وتشتت السبل متفرقة ، وعفت الآثار دارسة ، وسطع رهج (١) الفتن وابتدأ تمام الظلم . واستنهد الشرك ، وأسدف الكفر ، وظهر أولياء الشيطان لطموس الأعلام ، ونطق زعيم الباطل بسكتة الحق ، واستطرق الجور ، واقطر سلهب (٢) الفتنة ، واستضرم لقاحها (٣) ، وطبقت الأرض ظلمة كفر وغيابة فساد ، فصدع (٤) بالحق مأمورا ، وبلغ الرسالة معصوما وفلج الإسلام وأهله دالا لهم على المراشد ، وقائدا لهم إلى الهداية ، ومنيرا لهم أعلام الحق ضاحية ، ومرشدا لهم إلى استفتاح باب الرحمة واعلان عروة النجاة ، موضحا لهم سبل الغواية ، زاجرا لهم عن طريق الضلال محذرا لهم من الهلكة ، موعزا اليهم فى التقدمة ، ضاربا لهم الحدود على ما يتقون من الامور ويخشون ، وما اليه يسارعون ويطلبون ، صابرا نفسه على الأذى والتكذيب ، داعيا لهم بالترغيب والترهيب ، حريصا عليهم متحننا على كافتهم ، عزيزا عليه عنتهم (٥) ، رؤوفا بهم رحيما ، تقدمه شفقته عليهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم وسلامة أديانهم ، وتخفيف آصار (٦) الاوزار عنهم ، حتى قبضه الله اليه ﷺ ناصحاً منتصحاً ، أميناً مأمونا ، قد بلغ الرسالة ، وأدى النصيحة ، وقام بالحق ، وعدل عمود الدين حتى اعتدل ميله ، وأذل الشرك وأهله ، وأنجز الله له وعده ، وأراه صدق أسبابه فى إكماله للمسلمين دينه ، واستقامة سنته فيهم ، وظهور

---

(١) الرهج : الغبار .

(٢) السلهب من الرجال : الطويل , ومن الخيل ما عظم وطالت عظامه .

(٣) استضرم : أوقد . لقاح النار : ما تمد به من حطب .

(٤) الفاعل ضمير يعود على النبي .

(٥) العنت : المشقة .

(٦) آصار : جمع إصر بمعنى الذنب .

شرائعه عليهم قد أبان لهم موبقات الأعمال ومفظعات (١) الذنوب . ومبهظات (٢) الأوزار ، وظلم الشبهات ، وما يدعو إليه نقصان الأديان ، وتستهويهم الغوايات ، وأوضح لهم أعلام (٣) الحق ، ومنازل المراشد ، وطرق الهدى ، وأبواب النجاة ، ومعالق العصمة . غير مدخر لهم نصحاً ولا مبتغ فى إرشادهم غنما .

فكان فيما تقدم إليهم فيه نهيه ، وأعلمهم سوء عاقبته ، وحذرهم إصره ، وأوعز إليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج . والمواصلة عليها لما فى ذلك من عظيم الإثم ، وموبق الوزر مع مشغلتها عن طلب المعاش ، وإضرارها بالعقول ومنعها من حضور الصلوات فى موافيتها مع المسلمين . . وقد بلغ أمير المؤمنين أن ناساً ممن قبلك من أهل الاسلام قد ألهجهم (٤) الشيطان بها وجمعهم عليها ، وألف بينهم فيها . فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم إلى ممساهم ملهية لهم عن الصلوات شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم ، وافترض عليهم من شرائع أعمالهم . مع مداعبتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها ، وأن ذلك من فعلهم ظاهر فى الأندية والمجالس غير منكر ولا معيب ، ولا مستفظع عند أهل الفقه ، وذوى الورع والأديان والأسنان منهم ، فأكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره ، وعلم أن الشيطان عند ما يئس من بلوغ إرادته فى معاصى الله عز وجل بمصر المسلمين ، وبجمعهم : صراحا وجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة موبقة ، وغرهم بمكيدة إرادة استغوائهم بالخدع ، واجتيالهم (٥) بالشبه ، والمراصد الخفية المشكلة ، وكل مقيم على معصية الله : صغرت أو كبرت مستحلا لها مشيداً بها (٦) مظهراً لارتكابه إياها ، غير حذر عقاب الله عز وجل ولا خائف مكروهاً فيها ولا رعب من حلول سطوته عليها حتى تلحقه المنية فتختاجه (٧)

---

(١) أفظع الأمر كفظع .
(٢) بهظه الأمر : ثقل عليه ، ولم أعثر على أبهظه ولعله استعملها مزاوجة لمفظعات
(٣) أعلام : جمع علم ، وهو ما ينصب فى الطريق لهداية السائر .
(٤) ألهجهم : جعلهم يلهجون بها أى يولعون بذكرها .
(٥) اجتاله : حوله عن قصده .
(٦) رافعاً صوته .　　(٧) تنتزعه

وهو مصر عليها غير تائب إلى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه إياها . فكم قد أقام على موبقات الآثام ، وكبائر الذنوب ، حتى مر به مخرم (١) أيامه .

وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدم إليهم فيما بلغه عنهم وأن ينذرهم ويوعز إليهم ، ويعلمهم ما فى أعناقهم عليها ، وما لهم فى قبول ذلك من الحظ وعليهم فى تركه من الوزر ، فأذن بذلك فيهم وأشده فى أسواقهم وجميع أنديتهم وأوعز إليهم فيه ، وتقدم إلى عامل شرطتك فى إنهاك (٢) العقوبة لمن رفع إليه من أهل الاعتكاف عليها . والاظهار للعب بها ، وإطالة حبسه فى ضيق وضنك ، وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين ورأيه (٣) . ولا يجدن أحد عندك هوادة (٤) فى التقصير فى حق الله عز وجل والتعدى لأحكامه .فتحل بنفسك مايسوؤك عاقبة ومغبة ، وتتعرض به لغير (٥) الله عز وجل ونكاله . واكتب إلى أمير المؤمنين ما يكون منك إن شاء الله .

٥ — ومن رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب التى كتبها عن مروان بن محمد إلى ابنه عبد الله بن مروان :

كتب عبد الحميد عن مروان آخر خلفاء بنى أمية إلى ابنه عبد الله بن مروان ، حين وجهه لمحاربة الضحاك ابن قيس الشيبانى الخارجى رسالة طويلة ممتعة ، زوده فيها بنصائح غالية ، منها :

« من ذلك أن تملك أمورك بالقصد ، وتدارى جندك بالاحسان ، وتصون سرك بالكتمان ، وتداوى حقدك بالانصاف ، وتذلل نفسك بالعدل ، وتحصن عيوبك بتقديم أودك ، وتمنع عقلك من دخول الآفات عليه بالعجب المردى .

---

(١) خرم الشىء وخرمه : فرق أجزاءه ، ومعنى مخرم أيامه : أيامه القليلة ، لأن الجميع إذا تصدع قل .

(٢) إنهاك العقوبة : المبالغة فيها .

(٣) أى الحسن .

(٤) الهوادة اللين والضعف .

(٥) لغير : أحداث الدهر .

وأناتك (١) فوقها الملال وفوت العمل ، ومضاءتك (٢) فدرعها روية النظر، واكنفها (٣) بأناة الحلم ، وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة ، وصمتك فانف عنه عى اللفظ ، وخف فيه سوء القالة (٤) ، واستماعك فارعه حسن التفهم ، وقوه باشهاد الفكر ، وعطاءك فامهد (٥) له بيوتات الشرف وذوى الحسب . وتحرز فيه من السرف واستطالة البذخ (٦) وامتنان الصنيعة ، وحياءك فامنعه من الخجل وبلادة الحصر (٧) ، وحلمك فزعه (٨) عن التهاون ، وأحضره قوة الشكيمة (٩) ، وعقوبتك فقصرها عن الافراط ، وتعمد بها أهل الاستحقاق ، وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق ، وخذ به واجب المفترض ، وأقم به أود الدين ، واستئناسك فامنع منه البذاء (١٠) وسوء المثافنة (١١) ، وتعهدك أمورك فخذه أوقاتا ، وقدره ساعات لا تستفرغ قوتك ، ولا تستدعى سآمتك ،

٧ — رسالته إلى الكتاب:

وكتب عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية رسالة إلى الكتاب أوصاهم فيها بمحاسن الآداب وهى : « أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم ، فان الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً ، وان كانوا فى الحقيقة سواء ، وصرفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم ، فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات ، أهل الأدب والمروآت

---

(١) الأناة : التأنى . (٢) مضى فى الأمر مضاء : نفذ .
(٣) كنفه كنصره : صانه وحفظه . (٤) القول فى الخير ، والقال والقيل والقالة فى الشر .
(٥) من مهد المهد للصبي إذ هيأه وبسطه ، والمعنى : فضعه فى بيوتات الشرف .
(٦) البذخ : الكبر . (٧) الحصر : العى . (٨) وزعه كوضعه : كفه
(٩) الشكيمة : الأنفة . (١٠) بذؤ الرجل ويثلث بذاء وبذاءة : سفه والفحش فى منطقه .
(١١) المثافنة : المجالسة .

والعلم والرزانة ، بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم ، لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف إلا منكم ، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون ، فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ، ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم ، وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم ، أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره أن يكون حليما فى موضع الحلم فهيما فى موضع الحكم مقداماً فى موضع الاقدام محجاماً فى موضع الاحجام مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف ، كتوماً للأسرار وفياً عند الشدائد عالماً بما يأتى من النوازل يضع الأمور مواضعها والطوارق فى أماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلم فاحكمه ، وان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به ، يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ، ويهيء لكل وجه هيئته وعادته ، فتنافسوا يامعشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفقهوا فى الدين وأبدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ، ولا تضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الأمور ومحافرها فانها سيما الكتاب ، وأرباب الآداب ، وللامور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة ، واحمدها عاقبة ، واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورؤيته ، فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى من منطقه ، وليوجز فى ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن اكثاره وليضرع إلى الله فى صلة توفيقه وامداده بتسديده ، مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وآدابه ، فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل الذى برز من جميل صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عزوجل الى نفسه ، فيصير منها الى غير كاف ، وذلك

على من تأمله غير خاف ، ولا يقول أحد منكم أنه أبصر بالأمور واحمل لعبء التدبير من مرافقه فى صناعته ، ومصاحبه فى خدمته ، فان أعقل الرجلين عند ذوى الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره ، ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجمل فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ، ولا يكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره ، وحمد الله واجب على الجميع، وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته ، وأنا أقول : فى كتابى هذا ما سبق به المثل : من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو فى جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل، فلذلك جعلته آخره وتممته به ، تولانا الله وإياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وإرشاده فان ذلك اليه وبيده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٧ — وكتب عبد الحميد فى فتح لجيوش المسلمين :

أما بعد : فالحمد لله الذى اصطفى الاسلام دينا رضى شرائعه وبين أحكامه . ونور هداه ، ثم كنفه بالعز المؤيد ، وأيده بالظفر القاهر ، وآزره بالسعادة المتجية ، وجعل من قام به داعياً اليه من جنده الغالبين ، وأنصاره المسلطين ، كلما قهر بهم مناوئا ، أورثهم رباعهم المأهولة ، وأموالهم المثرية ، ودارهم الفسيحة ، ودولتهم المطولة ، أمرا حتمه على نفسه ، ثم جعل من عاندهم ، وابتغى غير سبيلهم ، مسلما قد استهونه ذلة الكفر بظلمها وحيرة الجهالة بحوارها ، وتيه الشقاء بمغاويه .

قد بذلوا فى طاعة الله دماءهم ، وقبلوا المعروض عليهم فى مبايعة ربهم لهم بأنفسهم الجنة .

والحمد لله المعز لدينه ، المتولى نصر أمة نبيه ، حمداً يزيد به من رضى شكره ، وحمداً يعلو حمد الحامدين من أوليائه .

٨ — وكتب أيضاً يوصى بشخص :

حق موصل كتابى إليك كحقه على ، إذ جعلك موضعاً لأمله ، ورآنى أهلا لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصدق أمله .

عبد الله بن معـاوية

المتوفى عام ١٣٢ هـ

هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

كان والده معاوية من رجالات قريش ولم يكن في ولد عبدالله مثله ، ولد وأبوه عند معاوية فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال : سمه معاوية ولك مائة الف درهم ، ففعل وأعطاه المـــال وأعطاه عبد الله الذى بشره به ، وكان عبد الله ابن جعفر لا يؤدب ولده ويقول : إن يرد الله عز وجل بهم خـيراً يتأدبوا ، فلم ينجب فيهم غير معاوية .

وأمه هي أم عون بنت عياش بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وكتابهم ومترسليهم وشعرائهم ، ولم يكن محمود المذهب في دينه ، كان يرمى بالزندقة ويستولى عليه من يعرف ويشهر أمره فيها ، ويكنى أبا معاوية وله يقول ابن هرمة قصيدته التي أولها :

عاتب النفس والفؤاد الغويا ... في طلاب الصبا فلست صبيا
عجبت جارتي لشيب عـــلاني ... عمرك الله هل رأيت بديا (١)
إنمـــا يعذر الوليـــد ولا يعـ ... ـذر من عاش من زمان عتيا (٢)

ومنها في المدح

أحب مدحا أبا معاوية المـــا ... جد لا تلفه حصورا (٣) عييا
بل كريما يرتاح للمجد بسا ... ما إذا هزه السؤال حييـــا
أن لي عنده وإن رغم الأعـــ ... داء حظـــاً من نفسه (٤)، وقفيا
ان أمت تبق مدحتي وإخائي ... وثنائي من الحياة مليا
يأخذ السبق بالتقـــدم في الجر ... ى إذا ما الندى تنحى عليا

---

(١) بديا : عجيبا . (٢) يقال عتى الشيخ عتيا بضم العين وكسرها : كبر وولى .
(٣) الحصور هنا : البخيل . وحبا فلانا يحبوه : أعطاه .
(٤) القفي : ما يكرم به الضيف من الطعام .

ذو وفاء عنـــد العدات وأوصا ه أبـــوه ألا يزال وفيا
فرعى عقـدة الوصاة فأكرم بهما موصيا وهـذا وصـيا
يا بن أسماء (١) ، فاسق دلوى فقد أو ردتهـا منهلا (٢) يثج رويا

وقدم عبد الله بن معاوية الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز مستميحاً فتزوج بالكوفة بنت الشرقى بن عبد المؤمن الرياحى ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بنى أمية ، وقالوا له : اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من غيرك ، واجتمعت له جماعة فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه ، وقيل انما كان خروجه فى أيام يزيد بن عبد الملك ، ظهر بالكوفة ودعا الى الرضا من آل محمد ولبس الصوف وأظهر سيما الخير ، فاجتمع اليه وبايعه بعض أهل الكوفة ولم يبايعه كلهم وقالوا : مافينا بقية ، قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق ، فقبل ذلك وجمع جموعاً من النواحى فغلب على بعض البلاد بأصبهان ، وكان الذى أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بنى يشكر ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس اليه فأخذهم بالبيعة ، فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وكرهتم ، فبايعوا على ذلك ، وكتب عبد الله بن معاوية إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا الى الرضا من آل محمد ، واستعمل أخاه الحسن على اصطخر (٣) وأخاه يزيد على شيراز (٤) وأخاه عليا على كرمان (٥) وأخاه صالحاً على قم (٦) ونواحيها ، وقصدته بنو هاشم جميعاً ، منهم السفاح والمنصور وعيسى بن على ، وقصده وجوه قريش من بنى أمية وغيرهم ، فمن قصده من بنى أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز ، فمن أراد منهم عملا قلده ومن أراد صلة وصله ، فلم يزل مقيما فى هذه النواحى التى غلب عليها حتى ولى مروان بن محمد فوجه اليه عامر بن صبارة فى جيش كثيف ، فسار اليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج اليه فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دهش هو وأخوته قاصدين لخراسان وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار ، فلما صار فى بعض الطريق نزل على رجل ذى مروءة ونعمة وجاه فسأله

---

(١) يعنى أمه أسماء وهى أم عون بنت عباس .
(٢) يثج : يسيل . (٣) اصطخر : مدينة من حصون فارس ومدنها
(٤) شيراز : مدينة عظيمة باقليم فارس . (٥) كرمان : ولاية بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . (٦) قم : مدينة إسلامية ببلاد فارس .

معونته ، فقال له : من أنت من ولد رسول الله ﷺ ؟ أأنت ابراهيم (١) الامام الذى يدعى له بخراسان ؟ قال : لا ، قال : فلا حاجة لى فى نصرتك ، فخرج الى أبى مسلم وطمع فى نصرته ، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده وجعل عليه عيناً يرفع اليه أخباره ، فرفع اليه أنه يقول : ليس فى الأرض أحمق منكم يا أهل خراسان فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم اليه مقاليد اموركم من غير أن تراجعوه فى شىء أو تسألوه عنه ، والله ما رضيت الملائكة الكرم من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء »، حتى قال لهم : « إنى أعلم مالا تعلمون »، ثم كتب اليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التى يقول فيها : « إلى أبى مسلم من الأسير فى يديه بلا ذنب ولا خلاف عليه ، أما بعد فانك مستودع ودائع ، ومولى صنائع ، وإن الودائع رعية وان الصنائع عارية ، فاذكر القصاص واطلب الخلاص ، ونبه للفكر قلبك ، واتق الله ربك ، وآثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً . فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلفت ، وفقك الله لما ينجيك وآتاك شكر ما يبليك » فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال : لقد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا ، ثم أمضى تدبيره فى قتله .

وكان عبد الله بن معاوية قاسيا وكان مع قسوته من ظرفاء بنى هاشم وشعرائهم وهو الذى يقول :

ألا يزع (٢) القلب عن جهله	وعما يؤنب من أجله
فأبدل بعد الصبا حلمه	وأقصر ذو العذل عن عذله
فلا تركبن الصنيع الذى	تساوم أخاك على مثله
ولا يعجبنك قول امرىء	يخالف ما قال فى فعله
ولا تتبع الطرف مالا تنال	ولكن سل الله من فضله
فكم من مقل ينال الغنى	ومحمد فى رزقه كله

ومنه :

إذا افتقرت نفسى قصرت افتقارها	عليها فلم يظهر لها أبداً فقرى

(١) هو ابراهيم بن محمد بن على أخو السفاح والمنصور .

(٢) وزعه : كفه ومنعه وحبسه .

وإن تلقنى فى الدهر مندوحة (١) الغنى　　يكن لأخلاقى التوسع فى اليسر
فلا العسر يزرى بى إذ هو نالنى　　ولا اليسر يوماً ان ظفرت به فخرى

وله مع اجادته فى الشعر حظ كبير من البلاغة فى الكتابة والترسل وقد سبق بعض رسائله فى نماذج الكتابة .

ولعبد الله بن معاوية — المتوفى سنة ١٣٢ هـ — يعاتب بعض إخوانه :

أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك (٢) وذلك أنك ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة (٣) ثم أعقبتنى جفاء عن غير جريرة (٤) فأطمعنى أولك فى إخائك (٥) وأيأسنى آخرك عن وفائك (٦) فلا أنا فى اليوم مجمع لك اطراحا (٧) ولا أنا فى غد وانتظاره منك على ثقة (٨) ، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك فيك (٩) ، فاجتمعنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف ، والسلام .

وله فى الحكم - وقد نسبها القيروانى فى كتابه زهر الآداب إلى معاوية -: المروءة احتمال الجريرة وإصلاح أمر العشيرة (١٠) والنبل والحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة (١١).. ما رأيت تبذيرا قط إلا وإلى جنبه حق مضيع (١٢) .. أنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .. أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .. إصلاح ما فى يدك أسلم من طلب ما فى أيدى الناس .

---

(١) مندوحة : سعة .
(٢) يعنى أردت أن أصمم على رأى أستخلصه فيك فاعترضنى الارتياب فى أمرك
(٣) يعنى لاطفتنى فى أول الأمر بدون سابق اختبار منك لى (٤) ثم جئت بعد ذلك بهجرى من غير ذنب (٥) فطمعت بسبب ملاطفتك الأولى فى صحبتك (٦) يعنى هجرك لى قطع أملى من وفائك (٧) لست عاقد النية اليوم على نبذ مودتك (٨) لست واثقا بتحسن حالك فى الآتى .

(٩) أراد بين لى الرأى الخالص فيك وأذهب الشك فى أمرك (١٠) الصبر على ذنوب الناس وإصلاح شئون القوم (١١) النبل السيادة وتكون بضبط النفس عند حدوث ما يوجب الغضب والعفو عن الجانى عند القدرة عليه (١٢) يعنى أن الإسراف لا بد أن يضيع به بعض الحقوق .

وكتب وهو فى السجن إلى أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة يستعطفه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الأسير فى يديه بلا ذنب إليه ، ولا خلاف عليه . أما بعد : فآتاك الله حفظ الوصية ، ومنحك نصيحة الرعية ، وألهمك عدل القضية فإنك مستودع الودائع ، ومولى الصنائع ، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك ، فالودائع عارية ، والصنائع مرعية ، وما أنعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ، ولا ببلوغ مداها فنبه للتفكير قلبك ، واتق الله ربك ، وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحب أن يعطيك من هو فوقك : من العدل والرأفة ، والأمن من المخافة ، فقد أنعم الله عليك بأن فوض أمورنا إليك ، فاعرف لنا لين شكر النعمة ، واغتفار مس الشدة ، والرضاء بما رضيت ، والقناعة بما هويت . فإن علينا من سمك (١) الحديد وثقله (٢) أذى شديداً ، مع معالجة الأغلال ، وقلة رحمة العمال ، الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة ، وإيرادهم (٣) علينا الغموم ، وتوجيههم إلينا الهدوم . زيارتهم الحراسة ، وبشارتهم الآياسة . فاليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ، ونشكو شدة البلوى ، فتى تمل إلينا طرفا ، وتولنا منك عطفا ، تجد عندنا نصحا صريحاً ، ووداً صحيحاً لا يضيع مثلك مثله ، ولا ينفى مثلك أهله . فارع حرمة من أدركت بحرمته ، واعرف حجة من فلجت بحجته ، فان الناس من حوضك رواء (٤) ونحن منه ظماء ، يمشون فى الابراد (٥) ونحن نحجل (٦) فى الأقياد بعد الخير والسعة ، والخفض والدعة ، والله المستعان وعليه التكلان ، صريح الأخبار ، منجى الأبرار ، الناس من دولتنا فى رخاء . ونحن منها فى بلاء . حين أمن الخائفون ، ورجع الهاربون ، رزقنا الله منك التحنن ، وظاهر علينا من التمنن ، فانك أمين مستودع ، ورائد مصطنع والسلام ورحمة الله .

---

(١) السمك : الغلظ والتخانة .

(٢) الثقل (كعنب) : ضد الخفة ، أما الثقل (كحمل) فهو هو فى المعنى .

(٣) أى ما يوردونه علينا ويأتوننا به هو الغم .

(٤) رواء : جمع ريان وكذلك ظماء .

(٥) الأبراد : جمع برد ، وهو الحلة .

(٦) الحجل والحجلان : المشى المتقارب الخطا .

سكينة بنت الحسين بن على

١١٧ م

والدها الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأم الحسين ، فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمها خديجة بنت خويلد ، وكان على سمى الحسين حربا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين .

تزوج الحسين الرباب بنت امرىء القيس بن عدى الكلبية وهى أم سكينة ، وهذا لقب لها واسمها آمنة . قالت سكينة : عاتب عمى الحسن أبى فى أمى فقال :

لعمرك إننى لأحب دارا	تكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالى	وليس لعاتب عندى عتاب
فلست لهم وإن غابوا مضيعا	حياتى أو يغيبنى التراب

فولدت له عبدالله وسكينة ، وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن ، وخطبت بعد قتل الحسين فقالت : ماكنت لاتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قيل لسكينة أنت تمزحين كثيرا وأختك لا تمزح ، فقالت : لانكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة — تعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم — وسميتمونى باسم جدتى التى لم تدرك الاسلام ، تعنى آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورثت أمها الرباب بنت امرىء القيس زوجها الحسين بن على حين قتل فقالت :

ان الذى كان نورا يستضاء به	بكربلاء (١) قتيل غير مدفون
سبط النبى جزاك الله صالحة	عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلا صعبا ألوذ به	وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن	يغنى ويأوى اليه كل مسكين ؟
والله لا أبتغى صهرا بصهركم	حتى أغيب بين الرمل والطين

قال مصعب : كانت سكينة عفيفة سليمة برزة (٢) من النساء تجالس الاجلة من

---

(١) كر بلاء : موضع فى طرف البرية عند الكوفة قتل فيه الحسين بن على .

(٢) امرأة برزة : متجاهرة جليلة كهلة ، تبرز للناس وتجلس للرجال .

من قريش وتجتمع اليها الشعراء وكانت ظريفة مزاحة ، تزوجت مصعبا وهى شابة وقالت سكينة : أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة .

وتزوجت سكينة عدة أزواج ، منهم عبدالله بن الحسين بن على وهو ابن عمها وأبو عذرتها ، ومصعب بن الزبير ، وعبد الله بن سليمان الحزامى ، وزيد بن عمرو ابن عثمان ، والاصبع بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها ، وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها ، ومهرها مصعب الف ألف درهم ، وحملها اليه أخوها على بن الحسين فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت من مصعب بنتا فسمتها الرباب ، فلما قتل مصعب ولى أخوه عروة تركته فروجها ابنه عثمان بن عروة فمات وهى صغيرة ، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار، وقالت سعيدة بنت عبدالله ابن سالم : لقيت سكينة بين مكة ومنى فقلت : قفى يابنة الحسين فكشفت عن بنتها من مصعب واذا هى قد أثقلتها بالحلى واللؤلؤ فقالت: ما ألبستها اياه إلا لتفضحه.

قالت سكينة لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك وقالت عائشة : بل أنا ،فاختصمتا إلى عمر بن أبى ربيعة فقال : لأقضين بينكما ، أما أنت ياسكينة فأملح ، وأما أنت ياعائشة فأجمل منها ، فقالت سكينة : قضيت لى والله ، وكانت سكينة تسمى عائشة ذات الأذنين ، وكانت عظيمة الأذنين .

واجتمع الفرزدق وجميل وجرير ونصيب وكثير فى موسم من المواسم ،فقال بعضهم لبعض : والله لقد اجتمعنا فى هذا الموسم ، وما ينبغى لنا أن نتفرق إلاوقد تابع لنا فى الناس شىء نذكر به . فقال جرير : هل لكم فى سكينة (١) بنت الحسين نقصدها فنسلم عليها . فلعل ذلك يكون سببا لبعض ما نريد؟ فقالوا : امضوا بنا ، فمكثوا أياما ، ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها ، وقعدت لهم حيث تراهم ولايرونها ، ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيئة ، قد روت الأشعار والأحاديث ، فأقرأها كل منهم السلام فقالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال : هأنذا . قالت : أنت الذى يقول :

---

(١) المحاسن والمساوىء ص٢٣٤ طبع ليبزج ؛ مصارع العشاق ص٢٧٢ الأغانى ١٦٩ ج ١٤ ؛ الموشح ص ١٥٩

أبيت أمنى النفس أن سوف نلتقى وهل هو مقدور لنفسى لقاؤها؟
فإن ألقها أو يجمع الدهر بيننا ففيها شفاء النفس منها وداؤها

قال : نعم، قالت : قولك أحسن من منظرك . وأنت القائل :

ودعننى باشــارة وتحيــة وتركننى بين الديار قتيــلا
لم أستطــع رد الجـواب عليهم عند الوداع وما شفين غليــلا
لوكنت أملكهم إذن لم يبرحوا حتى أودع قلبى المخبولا

قال : نعم : قالت أحسنت ، أحسن الله اليك ، وأنت القائل :

هما دلتانى من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره(١)
فلما استوت رجلاى فى الأرض نادتا: أحى فيرجى أم قتيل نحاذره

قال : نعم . قالت : سوءة لك : فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك ، هلا سترت عليها وعلى نفسك ؟ فضرب بيده على جبهته ، وقال : نعم ، فسوءة لى .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت : أيكم جرير ؟ فقال : هأنذا : قالت : نت القائل :

رزقنا به الصيد الغرير ولم نكن كمن نبله محرومة وحبائله
فهيهات هيهات العقيق ومن به وهيهات حى بالعقيق نواصله

قال نعم ! قالت : أحسن الله إليك ، وأنت القائل :

كأن عيون المجتلين تعرضت وشمسا تجلى يوم دجن (٢) سحابها
إذا ذكرت للقلب كاد لذكرها يطير اليها واعتراه عذابها

قال : نعم : قالت : أحسنت ! وأنت القائل :

سرت الهموم فبتن غير نيام وأخو الهموم يروم كل مرام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام
لو كان عهدك كالذى حدثتنى لوصلت ذاك فكان غير ذمام

---

(١) كسر الطائر جناحيه ؛ إذا ضم منهما شيئا،وهو يريدالوقوع أو الانقضاض
(٢) الدجن : المطر الكثير .

تجرى السواك على أغر كأنه · برد تحدر من متون غمام

قال : نعم ! قالت : سوءة لك ! جعلتها صائدة القلوب ، حتى إذا أناخت ببابك جعلت دونها حجابا ! ألا قلت :

طرقتك صائدة القلوب فرحبا · نفسى فداؤك فادخلى بسلام

قال : نعم ! فسوءة لى .

ودخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم كثير ؟ فقال: هأنذا ! فقالت : أنت القائل :

وأعجبنى ياعز منك خلائق · حسان إذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يطمع الصب فى الصبا · وقطعك أسباب الصبا حين تقطع
وأنك لاتدرى غريما مطالته · أيشتد إن قاضاك أم يتضرع
وأنك إن واصلت أعلمت بالذى · لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال : نعم ! قالت : أعطاك الله مناك ، وأنت القائل :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر · لعزة من أغراضنا ما استحلت
فما أنا بالداعى لعزة فى الورى · ولا شامت إن نعل عزة زلت
وكنت كذى رجلين : رجل صحيحة · ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال : نعم : قالت : أحسن الله اليك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم نصيب ؟ فقال : هأنذا ؟ قالت أنت القائل :

ولولا أن يقال صبا نصيب · لقلت : بنفسى النشأ (١) الصغار

قال : نعم : قالت : أحسنت وكرمت ، إلا أنك صبوت إلى الصغار ، وتركت الناهضات بأحمالها .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم جميل ؟ قال أنا ؟ قالت : أنت القائل :

لقد ذرفت عينى وطال سفوحها · وأصبح من نفسى سقيماً صحيحها

---

(١) النشأ : جمع ناشىء ، للمذكر والمؤنث ، وهو الحدث الذى جاوز حد الصغر ، وجمعه نشأ .

بتنا كنا جميعا وإن نمت | يجاور فى الموتى ضريحى ضريحها
أظل نهارى مستهاما ويلتقى | مع الليل روحى فى المنام وروحها
فهل لى فى كتمان حبى راحة | وهل تنفعنى بوحة لو أبوحها ؟

قال : نعم ! قالت : بارك الله عليك ! وأنت القائل :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما | قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟
أبيت مع الهلاك ضيفا لأهلها | وأهلى قريب موسعون ذوو فضل
فيارب إن تهلك بثينة لا أعش | فواقاً (١) ولا أفرح بمالى ولا أهلى
ويارب إن وقيت شيئاً فوقها | حتوف المنايا رب واجمع بها شملى

قال : نعم ! قالت أحسنت ، أحسن الله إليك ، وانت القائل :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة | بوادى القرى إنى إذا لسعيد
لكل حديث عندهن بشاشة | وكل قتيل بينهن شهيد
وياليت أيام الصبا كن راجعاً | ودهرا تولى يا بثين يعود
إذا قلت : مابى يابثينة قاتلى | من الحب قالت : ثابت ويزيد
وإن قلت : ردى بعض عقلى أعش | تناءت وقالت : ذاك منك بعيد
فما ذكر الخلان إلا ذكرتها | ولا البخل إلا قلت سوف تجود
فلا أنا مردود بما جئت طالبا | ولا حبها فيما يبيد يبيد
يموت الهوى منى إذا مالقيتها | ويحيا إذا فارقتها ويزيد

قال نعم ! قالت : لله أنت ، جعلت لحديثها ملاحة وبشاشة ، وقتيلها شهيداً ، وأنت القائل :

ألا ليتنى أعمى أصم تقودنى | بثينة لايخفى على مكانها

قال : نعم ! قالت : قد رضيت من الدنيا أن تقودك بثينة وأنت أعمى أصم ؟

قال نعم .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، ومعها مدهن فيه غالية (٢) ، ومنديل فيه

---

(١) فواقا : فترة .

(٢) الغالية : طيب

كسوة ، وصرة فيها خمسمائة دينار ، فصبت الغالية على رأس جميل ، حتى سالت على لحيته ، ودفعت إليه الصرة والكسوة ، وقالت ابسط لنا العذر ، أنت أشعرهم ، وأمرت لأصحابه بمائة مائة .

وخرج الفرزدق (١) حاجاً ، فلما قضى حجه عدل إلى المدينة،فدخل إلى سكينة بنت الحسين ، فسلم ، فقالت له يافرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال ، أنا ، قالت : كذبت ، أشعر منك الذى يقول :

بنفسى من تجنبه عزيز على ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرقنى إذا هجع النيام

فقال : أما والله لو أذنت لى لأسمعتك أحسن منه . قالت : أقيموه ، فأخرج . ثم عاد منها من الغد ، فدخل عليها ، فقالت يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ فقال أنا ، قالت كذبت ، صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت إذا هجر الضجيع فراشها (٢) كتم الحديث وعفت الأسرار
لايلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

فقال : والله لئن أذنت لى لأسمعنك أحسن منه ، فأمرت به فأخرج .

ثم عاد إليها فى اليوم الثالث ،وحولها مولداتها كأنهم التماثيل،فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها ، وبهت ينظر اليها . فقالت له سكينة : يافرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال أنا ، قالت كذبت ، صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إن العيون التى فى طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

---

(١) الأغانى ص ٣٨ ج٨ ، مصارع العشاق ص٧٤ ، المحاسن والمساوىء ص ٢٣٣ طبع ليبزج .

والفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب ، نشأ بالبصرة وأخذه أبوه برواية الشعر فنظمه فرواه ونبغ فيه ، وتعرف بولاة البصرة ومدحهم وهجاهم ، ثم رحل إلى خلفاء بنى أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم ، مات سنة ١١٠ هـ

(٢) الضجيع : الزوج ، وهجرها أن يغيب عنها ، يصفها بالعفاف .

فقال: لئن تركتنى لأسمعنك أحسن منه فأمرت باخراجه فالتفت إليها وقال : يابنت رسول الله ، إن لى عليك حقا عظيما . قالت : وما هو ؟ قال : ضربت إليك آباط الابل من مكة إرادة التسليم عليك ، فكان جزائى من ذلك تكذيبى وطردى ، وتفضيل جرير على ، ومنعك إياى أن أنشدك شيئا من شعرى ، وبى ماقد عيل منه صبرى ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلى لا أفارق المدينة حتى أموت ، فاذا أنا مت فرى بى أن أدرج فى كفنى ، ثم أدفن فى ثياب هذه الجارية (١) .

فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذا بريطتها (٢) ، ثم قالت له يافرزدق ، احتفظ بها وأحسن صحبتها ، فانى آثرتك بها على نفسى ، بارك الله لك فيها .

قال الفرزدق : فلم أزل والله أرى البركة بدعائها فى نفسى وأهلى ومالى .

واجتمع الفرزدق وجرير وكثير وجميل ونصيب فى ضيافة سكينة بنت الحسين، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم وأخرجت اليهم جارية لها وضئة ، قد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت أيكم الفرزدق قال : أنا ، أنت القائل :

هما دلتانى من ثمانين قامة ... كما انقض باز أقتم الريش كاسره
أحاذر بوابين قد وكلابنا ... وأحمر من ساج تئظ مسامره
فأصبحت فى القوم العقود وأصبحت ... مغلقة دونى عليها دساكره
يرى أنها أضحت حصانا وقدجرى ... لنا برقاها ما الذى أنا شاكره

ويروى ، « فأصبح يرجوها حصانا » . قال : نعم ، أنا قلته . قالت : ما دعاك إلى إفشاء سرك وسرها ، أفلا سترت على نفسك وعليها ؟ خذ هذا الالف الدرهم وانصرف. قال : بل تركها واللحاق بأهلى أجمل . ثم دخلت وخرجت فقالت : أيكم جرير ؟ قال ها أناذا . قالت : أأنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعى بسلام
تجرى السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذى حدثتنا ... لوصلت ذاك فكأن غير رمام

---

(١) يشير إلى الجارية التى أعجبته (٢) الريطة . الملاءة .

إنى أواصل من أردت وصاله   بجبال لا صلف ولا لوام

قال جرير : أنا قلته . قالت : أفلا أخذت بيدها ورحبت بها وقلت : « فادخلى بسلام » ؟ أنت رجل عفيف — وقيل ضعيف — خذ هذه الألفين والحق بأهلك » .
وذكر باقى الحديث . وقال عمر بن شبة فى آخره فقال جرير يعير الفرزدق بقوله :

هما دلتان من ثمانين قامة

تدليت تزنى من ثمانين قامة   وقصرت عن باع العلا والمكارم (١)

وحدث (٢) رجل من ثقيف أن جريرا والفرزدق ونصيبا وجميلا اجتمعوا فى موسم فصاروا إلى سكينة بنت الحسين وعرفوها أنفسهم فبعثت اليهم بجارية لها أديبة ظريفة فقالت قولى للفرزدق ألست القائل : هما دلتانى من ثمانين قامة ؟ وذكر الابيات . . ما أحسنت ، هتكت ستركما وقد ستر الله عليكما : وأخرجت دراهم فدفعتها اليه . ثم دخلت وخرجت فقالت أيكم القائل :

طرقتك صائدة القلوب . . البيت

فقال جرير : أنا . فقالت تقول لك مولاتى : ما أحسنت ولا سلكت طريقة الشعراء ، أيكون وقت لا تصلح فيه زيارة الحبيب ؟ ألا رحبت وقربت وقلت « فادخلى بسلام » . وأعطته دراهم .

واجتمع الفرزدق وجرير وكثير عزة وجميل بن معمر عند سكينة بنت الحسين والناس يجتمعون عليهم . فخرجت جارية لها بيضاء فقالت : يا أبا الزناد شغلك شعراؤنا عن البعثة الينا بالسلام . قال قلت : أجل ، وما أقبلت إلا للسلام عليكم. فدخلت ثم خرجت فقالت : أيكم الفرزدق ؟ تقول مولاتى لك : أأنت القائل .

« هما دلتانى من ثمانين قامة . . » وذكر الابيات

قال : نعم . قالت : سوأة لك ، أما استحييت من الفحش تظهره فى شعرك ؟ ألا سترت عليك ؟ أفسدت شعرك . ثم دخلت وخرجت فقالت : أيكم جرير ؟ أأنت القائل :

سرت الهموم فبتن غير نيام   وأخو الهموم يروم كل مرام

---

(١) ١٦٦ و ١٦٧ المرشح . (٢) ١٦٧ و ١٦٨ المرشح .

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام

قال : نعم . قالت . كيف جعلتها صائدة لقلبك حتى اذا أناخت ببابك جعلت دونها سترك ؟ ثم دخلت وخرجت فقالت : أيكم كثير ؟ أأنت القائل :

أعجبنى ياعز منك مع الصبا خلائق صدق فيك ياعز أربع
دنوك حتى يذكر الذاهل الصبا ورفعك أسباب الهوى حين يطمع
وأنك لا تدرين دينا مطلته
أيشتد من جراك أو يتصدع ؟
ومنهن إكرام الكريم وهفوة الـ
لئيم وخلات المكارم تنفع
أدمت لنا بالبخل منك ضريبة
فليتك ذا لونين يعطى ويمنع

قال : نعم قالت ماجعلتها تعرف بالبخل ولاسخية تعرف بالسخاء ، ثم قالت : أيهم جميل ؟ أأنت القائل :

ألا ليتنى أعمى أصم تقودنى بثينة لا يخفى على كلامها

قال : نعم ، قالت أفرضيت من نعيم الدنيا وزهرتها أن تكون أعمى أصم إلا أنه لا يخفى عليك كلام بثينة؟ قال : نعم . فوصلتهم جميعاً وانصرفوا (١)

وقد سبقت روايات كثيرة عن سكينة وملكاتها الأدبية ومجالسها الرائعة فى الأدب والشعر والنقد .

حماد الراوية

المتوفى ١٥٦ ه

هو أشهر هؤلاء الرواة وأقدمهم وأولهم جمعا لشعر العرب وأخبارهم.. وهو حماد الراوية الكوفى .

أصله من الديلم من موالى بنى بكر بن وائل ، وهو ابن ميسرة .

---

(١) ١٦٨ ، ١٦٩ الموشح .

نشأ بالكوفة ، وعنى بالأدب والشعر واللغة ، وشغف بجمع أخبار العرب فى جاهليتها وأشعارها فكان أعلم الناس بالشعر فى أيام العرب .

يقول عن نفسه للوليد بن يزيد : « أروى لكل شاعر تعرفه أو سمعت به ثم أروى لأكثر منهم ممن تعترف بأنك لا تعرفه ولاسمعت به ثم لا ينشدنى أحد شعراً قديما ولا محدثا إلا ميزت القديم من المحدث ، وانشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » . وهو الذى جمع المعلقات فيما يروى ..وقد انشد الخلفاء والأمراء والولاة .

وتوفى فى عهد الخلافة العباسية عام ١٥٦ هـ .

وروى عن حماد الراوية قال : كان انقطاعى إلى يزيدبن عبدالملك، فكانهشام يجفونى لذلك فى أيام يزيدفلمامات يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ، فمكثت فى بيتى سنة ، لا أخرج إلا لمن أثق به من إخوانى سراً .

فلما لم أسمع أحدا يذكرنى سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل . فاذا شرطيان قد وقفا على فقالالى يا حماد ، أجب الأمير يوسف (١) بن عمر فقلت فى نفسى : من هذا كنت أحذر ، ثم قلت للشرطيين هل لكما أن تدعانى آتى أهلى فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما اليه ؟ فقالا . ما إلى ذلك من سبيل .

فاستسلمت فى أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الإيوان (٢) الأحمر فسلمت عليه فرد على السلام : ورمى إلى كتابا فيه . « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد فاذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غيرمروع ولامتعتع (٣) ، وأدفع خمسمائة دينار وجملا مهريا (٤) يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق » .

---

(١) لم يكن يوسف بن عمر واليا على العراق بعد ولاية هشام بسنة ، وإنما كانالوالى عليها خالد القسرى حتى سنة ١٢٠ هـ ثم ولى يوسف بعده .

(٢) الايوان : البيت يبنى طولا .

(٣) غير متعتع . من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه .

(٤) مهرة بن حيدان . أبوقبيلة وهم حى عظيم ، وإبل مهرية .

فأخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فاذا جمل مر حولى ، فوضعت رجلى فى الغرز (١) ، وسرت اثنتى عشرة ليلة ، حتى وافيت باب هشام . فاستأذنت فأذن لى فدخلت عليه فى دار قوراء (٢) مفروشة بالرخام ، وهو فى مجلس مفروش بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيب ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء ، وعليه ثياب خز حمر ، وقدتضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت فى أوانى ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحه ، فسلمت فرد على ، واستدنانى فدنوت حتى قبلت رجله ، وإذا جاريتان لم أر قبلهما ، مثلهما ، فى أذنى كل واحدة منهما حلقتان من ذهب ، فيها لؤلؤتان تتوقدان .

فقال لى : كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أتدرى فيم بعثت إليك ، لبيت خطر ببالى لم أدر من قاله . قلت . وماهو؟ فقال :

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة فى يمينها إبريق

قلت . هذا يقوله عدى بن زيد فى قصيدة له . قال : فأنشدنيها ، فأنشدته :

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى : ألا تستفيق
ويلومون فيك يا بنة عبد الله والقلب عندكم موهوق (٣)
لست أدرى إذ أكثروا العذل عندى أعدو يلومنى أم صديق

فطرب ، ثم قال : أحسنت والله ياحماد ، أعد ، فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ، فقال : سل حوائجك ، فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال نعم ، قلت : أحد الجاريتين ، فقال لى : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما .

ثم قال للأولى : اسقيه فسقتنى شربة سقطت معها فلم أعقل حتى أصبحت فاذا بالجاريتين عند رأسى وإذا عدة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة . فقال لى أحدهم أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك خذ هذه فانتفع بها فأخذتها والجاريتين وانصرفت:

---

(١) الغرز . ركاب الرجل من جلد ، فاذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب .

(٢) دار قوراء : واسعة .

(٣) الموهوق . المشدود بالوهق ! وهو الحبل .

وقال بعض الرواة :

كنا فى دار أمير المؤمنين المهدى بعيسا باذ (١) ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية فدخل ، فمكث مليا ، ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل (٢) جميعاً ، وقد بان فى وجه حماد الانكسار والغم ، وفى وجه المفضل السرور والنشاط .

ثم خرج حسين الخادم بعدهما ، فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم ؛ إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم ، لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفا لصدقه وصحة روايته ؛ فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل .

فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدى قال للمفضل لما دعا به وحده : إنى رأيت زهير بن أبى سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دع ذا وعد القول فى هرم (٣)

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئاً إلا أنى توهمته كان يفكر فى قول يقوله ، أو يروى فى أن يقول شعراً ، فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : « دع ذا . . . » أو كان مفكراً فى شىء من شأنه فتركه وقال : « دع ذا . . . » أى دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول فى هرم ؛ فأمسك عنه .

ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ؛ قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

---

(١) عيسا باذ : محلة كانت شرق بغداد ، بها بنى المهدى قصره الذى سماه قصر السلام (٢) هو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ؛ راوية عالم بالأدب من أهل الكوفة لزم المهدى ، وصنف له كتاب المفضليات توفى سنة ١٦٨ هـ

(٣) هرم بن سنان ممدوح زهير .

لمن الديار بقنة (١) الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر
قفر أبمندفع النحائت (٢) من ضفوى (٣) أولات الضال (٤) والسدر
دع ذا وعد القول فى هرم خير الكهول وسيد الحضر

قال : فأطرق المهدى ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثق منه . ثم قال له :اصدقنى عن حال هذه الابيات ومن أضافها إلى زهير ؛ فأقر له حينئذ أنه قائلها ، فأمر فيه ، وفى المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه . » وجاء فى رواية أخرى :

قال حماد الراوية : كنت منقطعا إلى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يجفونى فى أيامه لذلك فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته فمكثت فى بيتى سنة لا أخرج إلى لمن آمن اليه من إخوانى سراً فلما لم أسمع أحداً يذكرنى فى السنة أمنت فخرجت وصليت الجمعة فى الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا على وقالا يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر فقلت فى نفسى من هذا كنت أخاف ثم قلت للشرطيين هل لكما أن تدعانى حتى آتى أهلى فأودعهم وداع من لا يرجع اليهم أبدا ثم أسير معكما اليه ، فقالا ما إلى ذلك سبيل فاستسلمت فى أيديهما وسرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الايوان الأحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى إلى كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متمتع وادفع اليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق فأخذت الدنانير وجعلت رجلى فى غرز جمل أعده لى ووافيت دمشق لاثنتى عشر ليلة واستأذنت على هشام فاذن لى فدخلت عليه فوراً فى دار مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب من ذهب وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلمت عليه فرد على السلام واستدنانى فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان لم أر مثلهما قط فى أذنى كل واحدة منهما حلقتان

---

(١) القنة : أعلى الجبل ، والحجر : موضع باليمامة (٢) النحائت : آبار فى موضع معين (٣) ضفوى : مكان دون المدينة (٤) الضال والسدر : نوعان من الشجر (اللسان مادة نحت) .

فيهما لؤلؤتان توقدان فقال كيف أنت يا حماد وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين قال آتدرى فيم بعثت اليك قلت لا قال فى بيت يبالى لم أدر من قائله قلت وما هو قال :

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينـة فى يمينهـا إبريق

فقلت هو لعدى بن زيد فى قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته :

بكر العاذلون فى وضح الصبـ ـح يقولون لى أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبـ ـد الله والقلب عندكم موثوق
لست أدرى إذا كثروا العذل فيها أعدو يلومنى أم صديق

حتى انتهيت إلى قوله : ودعوا بالصبوح يوما — البيت :

قدمته على سلاف كعين الديك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفا فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب لا ضرى آجن ولا مطروق

قال فطرب ثم قال لى أحسنت والله يا حماد ثم قال لإحدى الجاريتين أسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى ثم قال أعده فأعدته عليه فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ثم قال للأخرى اسقيه فسقتنى شربة فذهب ثلث آخر من عقلى ثم قال سل حاجتك فقلت إحدى الجاريتين فقال هما جميعاً لك ثم قال للاولى اسقيه فسقتنى شربة سقطت منها فلم أفق إلا والجاريتان عند رأسى وعشرة من الخدم مع كل واحد بدرة فقيل لى يقول لك أمير المؤمنين انتفع بهذا فى سفرك فأخذتها والجاريتين وعاودت أهلى

أبو عمرو بن العلاء

هو ابن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحرث بن جلهم بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم واسمه وكنيته واحد فى الأشهر. قال الفنجديهى : اختلف فى اسمه على تسعة عشر قولا فقيل اسمه محمد أو حميد أو حماد أو عثمان أو سفيان أو غير ذلك وأصحها زبان واختلف فى مولده فقيل ولد سنة خمس وستين بمكة فى أيام عبد الملك بن مروان وقيل ولد سنة سبعين . وقال أبو عبيدة : كان أبو عمرو أسمر طويلا ضرب اليدين حاد النظر ما رأيت مثله قبله ولا بعده فى فهمه ولا علمه وكان صاحب

غريب ونحو وعلم وهو أحد الأئمة فى القراءة وعنه أخذ يونس والأصمعى وأبو عبيدة وفيه يقول الفرزدق :

ما زلت أغلق أبوابا وأفتحها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وقال ابن مجاهد : وكان أبو عمرو مقدما فى عصره عالما بالقراءة ووجوهها ذا قدرة فى العلم باللغة أمام الناس فى العربية وكان مع ذلك متمسكا بالآثار ولا يكاد يخالف فى اختياره ما جاء عن الأئمة قبله متواضعا فى علمه ، وقال أبو عبيدة كان أبو عمرو أعلم الناس فى القرآن والعربية وأيام العرب وأنسابها وشعرها وكانت دفاتره ملء بيت فلما تنسك أحرقها وجعل على نفسه أن يختم القرآن فى كل ثلاثة ليال فلما أسن اختلط بالناس واحتاجوا اليه فعول على حفظه فأملى من حفظه كتب الناس ووقع عليه الإجماع روى الأصمعى عن أبى عمرو قال كنت أسمر مع مسلم بن قتيبه الباهلى وكان يعجبه الروى على السين فانشدته ليلة ستين قصيدة على السين لستين شاعرا اسمهم عمرو . وقال الأصمعى : كان لأبى عمرو كل يوم من غلة داره فلسان فلس يشترى به كوزا وفلس يشترى به ريحانا يشرب فى الكوز يومه ويشم الريحان يومه فاذا أمسى تصدق بالكوز وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه فى الأشنان . وقال الأصمعى : قال أبو عمرو كنت فى ضيعتى فاشـــتد على الحر فكنت أدور فى سدرها نصف النهار فسمعت قائلا يقول :

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

فقلت : إنسى أم جنى فما أجابنى فنقشته فى خاتمى فكان نقاش خاتمه ، وقال الأصمعى : كنت واقفا بالمربد وإذا أنا بأبى عمرو فلما بصر بى مال إلى فقال ما وقوفك هنا يا أصمعى قلت انى أحب المربد وأكثر الجلوس فيه فقال الزمه فانه يشد النظر ويجلو البصر ويجمع بين ربيعة ومضر ثم أردت الانصراف فقال أين يا أصمعى فقلت إلى صديق لى فقال إما لفائدة أو لعائدة وإلا فلا ثم قال لى مالى أراك بلا عمامة قلت لا عمامة لى فنزع عمامته عن رأسه فدفعها إلى فكبر ذلك على فقال لى إن لى بدلها إحدى عشرة عمامة ثم قال لى الزم العمامة فانها تشد اللامة وتحفظ الهامة وتزيد فى القامة ثم استخرج من كمه كيسا فدفعه إلى ثم قال يا أصمعى لا زلتم بخير ما دمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فاذا تركتم ذلك سلط الله عليكم أقواما غلاظا فظاظا خبرتكم على قدر معرفتكم . . . وأما قراءته وإعرابه فان شجاع بن نصر قال قلت لأبى عمرو كيف طلبت قراءة القرآن قال لم

أزل أطلب أن أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقلت له وكيف ذلك قال هرب أبي من الحجاج وأنا شاب فقدمنا مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وغيرهم فقرأت عليهم القرآن وأخذت العربية عن العرب الذين سبقونا باللحن فهذه التي أخذت بها قراءة الرسول ﷺ فأشدد يدك بها ، وقال خرج أبي هاربا من الحجاج إلى اليمن فانا لنسير في الصحراء باليمن إذا لحقنا لاحق ينشد :

ربما تجزع النفوس من الأمر   له فرجة كحل العقال

فقال لي أبي ما الخبر فقال مات الحجاج فانا بقوله فرجة بفتح الفاء اشد سرورا مني بموت الحجاج فقال أبي اصرف ركابنا إلى البصرة . ويروى ان الحجاج قال لأبي عمرو ما وجه قراءتك إلا من إغترف غرفة بفتح الغين فقال أبلغني ربي فقال قد أبلغتك الفرات وقال قاتل الله بن ام الحجاج لئن لم تأتني بالجواب إلى خمسة عشرة يوما لأقتلك شر قتلة ووكل به موكلين فخرج ابو عمرو يطوف في أحياء العرب فلم يجد له حجة إلى يوم وعده فجره الموكلون به ليرجعوه إلى الحجاج فسمع راعيا ينشد «ربما تجزع النفوس» البيت ، فقال له أبو عمرو وكيف تنشد هذا البيت «له فرجة أو فرجه» فقال فرجة وكذلك كل ماجاء على فعلة فلنا فيه ثلاث لغات فقال له أبو عمرو فما سبب انشادك هذا البيت في هذا الوقت فقال انا كنا خائفين من الحجاج وقد بلغنا نعيه قال والله لا ادري بايهما كنت أشد فرحا بوجداني الجواب والحجة لقولي واختياري ام بموت الحجاج .

الشعبي

اسمه عامر بن عبدالله بن شراحيل بن عبيد بن ذى كباد الشعبي من شعب همدان وكنيته أبو عمرو منسوب إلى شعبان بن عمرو وهو من حمير فمن كان منهم باليمن فهو حميرى ويقال له شعباني ومن كان بالعراق فهو همداني ويقال له شعبي ، وولد لست سنين من خلافة عمر رضى الله عنه سمع على بن أبي طالب رضى الله عنه والحسن والحسين وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وهو كوفي وبه يضرب المثل في الحفظ فيقال احفظ من الشعبي وقال الزهرى العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام وقال ابن

شبرمة سمعت الشعبي يقول ما كتبت سوداء فى بيضاء الى يومى هذا ولاحدثنى رجل قط بحديث الا حفظته ولا أحببت أن يعيده على وقال الشعبي لاصحابه ما أرى شيئا أقل من الشعر ولو شئت لانشدتكم شهرا لا أعيد وكان الشعبي فقيها عالما حافظا أديبا وقال لولا مازوحمت فى الرحم ما قامت لأحد معى قائمة وكتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إلى رجلا يصلح للدين والدنيا اتخذه سميرا أو جليسا فبعث اليه بالشعبي فلما دخل عليه وجده مغتما فقال مابال أمير المؤمنين قال ذكرت قول زهير:

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة   خلعت بها عنى عذار لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لاأدرى   فكيف بمن يرمى وليس يرام
فلو أننى أرمى بنبل رميتها   ولكننى أرمى بغير سهام
على الراحتين تارة وعلى العصا   أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

فقال له الشعبي ليس كذلك ولكن كما قال لبيد بن ربيعة :

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة   خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ سبعا وسبعين قال :

باتت لتبكى الى الموت مجهشة   وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تراخت ثلاثا تبلغى أملا   وفى الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وسؤال هذى الناس كيف لبيد
وعنيت ستا قبل مجرى داحس   لو كان للنفس اللجوج خلود

فلما بلغ عشرين ومائة قال :

أليس ورائى ان تراخت منيتى   لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت   أنوء كأنى كلما قمت راكع

فلما بلغ ثلاثين ومائة حضرته الوفاة فقال :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما   وهل انا الامن ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذى أنا أهله   ولا تخمشاخدا ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لاصديقه   أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما   ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال الشعبي فلقد رأيت السرور في وجه عبدالملك طمعا أن يعيشها ، وقال الحريرى في الدرة حدثنى أحد شيوخى أن ليلى الاخيلية كانت تتكلم بلغة بهراء فتكسر حرف المضارعة فتقول أنت تعلم فاستأذنت يوما على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشعبي فقال أتاذن لى يا أمير المؤمنين فى الغض منها فقال افعل فلما استقر بها المجلس قال لها الشعبي ياليلى مابال قومك لايكتنون فقالت ويحك أما نكتنى بكسر النون فقال لاوالله ولو فعلت لاغتسلت فخجلت عندذلك واستغرق عبدالملك فى الضحك ، وقال الأصمعى وجه عبدالملك الشعبي إلى ملك الروم فى بعض الأمور فاستكبر الشعبي فقال له من أهل بيت الملك أنت فقال لا فلما أراد الرجوع الى عبدالملك حمله رقعة لطيفة وقال له اذا بلغت صاحبك جميع ما يحتاج الى معرفته من ناحيتنا فادفع اليه هذه الرقعة فلما رجع إلى عبد الملك ذكر له ما احتاج إلى ذكره ونهض فلما خرج ذكر الرقعة فرجع فقال يا أمير المؤمنين انه حملنى اليك رقعة أنسيتها فدفعها اليه ونهض فقرأها عبد الملك وأمر برده فقال أعلمت ما فى الرقعة قال لا قال فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا أفتدرى لم كتب إلى بهذا قال لا قال حسدنى عليك فاراد أن يغرينى بقتلك فقال الشعبي لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرنى فبلغ ذلك ملك الروم فذكر عبد الملك وقال لله أبوه والله ما أردت إلا ذلك وكان الشعبي خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج فلما هزم عبد الرحمن أتى به موثقا مع الأسرى وكان حكم الحجاج فيهم من أقر أنه كافر أبقاه ومن أقر أنه مسلم قتله قال فلما جئت باب القصر لقينى يزيد بن مسلم كاتبه فقال انا لله ياشعبي لما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة فقلت له وما المخرج فقال بؤ للامير بالشرك والنفاق وبالحرى أن تنجو فلما دخلت على الحجاج قال لى وأنت ياشعبي ممن خرج علينا قلت أصلح الله الامير أحزن بنا المنزل وأجدب بنا الجناب واستحلسنا الخوف وضاق المسلك وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أولياء ولا فجرة أقوياء قال لله أبوك لقد صدقت والله مابررتم بخروجكم علينا ولا قويتم خلوا سبيله وكلم بن هبيرة فى قوم حبسهم فقال إن كنت حبستهم بباطل فالحق يطلقهم وإن كنت حبستهم بحق فالعفو يسعهم ودخل عليه رجل من التوكى وهو جالس مع امرأة فقال أيكما الشعبي فقال له هذا فقال ما تقول أصلحك الله فى رجل شتمنى فى أول يوم من رمضان هل يؤجر فقال له الشعبي أما أن كان قال لك يا أحق فارجو له الأجر وسأله آخر فقال ما تقول فى رجل أدخل اصبعه فى أنفه فى الصلاة فخرج عليها دم اترى له ان يحتجم فقال الحمد لله الذى نقلنا الفقه إلى الحجامة وسأله آخر كيف كانت تسمى امرأة ابليس قال ذلك نكاح لم

تشهده ودخل الحمام فرأى داود الاودى بلا مئزر فغمض عينيه فقال له داود متى عميت يا أبا عمرو فقال مذهتك الله سترك ومات فى سنة أربع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

الحسن البصرى

من الزهاد ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اسمها خيرة وكانت مولاة لأم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فكانت تعطيه ثديها إذا اشتغلت أمه فدر ثديها له باللبن قد أظهر الله تعالى بركة ذلك اللبن عليه وأبوه مولى لامرأة من الأنصار وقيل إن أبويه كانا مملوكين لرجل من بنى النجار فتزوج امرأة فى بنى سلمة من الأنصار فساقهما اليها من مهرها فاعتقتهما وكان أحسن الناس لفظا وأبلغهم وعظا وكان زاهداً عالماً مقدماً فى العلم والدين على نظرائه من التابعين وكان الحجاج له معظما ومتعجباً من فصاحته ولم ينفك من مجلس وعظ أو تدريس علم إلى أن مات رحمه الله تعالى ، وقال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت قط أوعظ ولا أفصح من الحسن البصرى وقال أبو أيوب السجستانى ما سمع أحد كلام الحسن البصرى الا ثقل عليه كلام الرجال ، قال حميد قال لى الشعبى ونحن بمكة أحب أن اختلى بالحسن فقلت ذلك للحسن فقال إذا شاء فجاء الشعبى فقلت له ادخل عليه فانه فى البيت وحده فقال أحب أن تدخل معى فدخلنا فاذا الحسن قبالة القبلة يقول يا ابن آدم لم تكن فكونت وسألت فاعطيت وسئلت فمنعت فبئس ما صنعت ثم يذهب فيرجع يعيد ذلك حتى أعادها مراراً فقال لى الشعبى يا هذا انصرف فان الشيخ فى غير ما نحن فيه

ولما دخل على الحجاج فقال له ما تقول فى على وعثمان قال أقول فيهما كما قال هو خير منى بين يدى من هو شر منك قال ومن ذلك قال موسى وفرعون حيث قال له فرعون فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب ، وقال الشعبى : وقال قدمنا على الحجاج فى البصرة فى جماعة من قراء الشام والعراق فى يوم صائف شديد الحر وهو فى آخر ثلاثة أبيات فدخلنا الأول فاذا فيه الثلج والماء قد أرسل فيه وفى الثانى أكثر وفى الثالث أكثر والحجاج قاعد على سريره وعنبسة بن سعيد إلى جانبه فجلسنا على الكراسى ودخل الحسن آخر من دخل فقال له الحجاج مرحبا بأبى سعيد اخلع قميصك فجعل الحسن يعالج زر القميص فأبطأه فطأطأ له الحجاج رأسه تلطفا به حتى حله وجاءت جارية بدهن فوضعته على رأس الحسن وحده فقال له الحجاج يا أبا سعيد مالى أراك منهوك الجسم لعل ذلك من قلة نفقة وسوء ولاية ألا نأمر لك بنفقة توسع بها على نفسك وخادم لطيف فقال إنى من

الله تعالى لنى سعة ونعمة وإنى منه لنى عافية ولكن الكبر والحر . فاقبل الحجاج على عنبسة وقال لا والله بل العلم بالله والزهد فيما نحن فيه فلم يسمعها الحسن وسمعتها أنا لقربى من عنبسة وجعل الحجاج يسأله حتى ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنال منه ونلنا منه مرضاة له وفرقا من شره والحسن عاض على إبهامه فقال له مالى أراك ساكتا فقال وما عسى أن أقول فقال أخبرنا برأيك فى أبى تراب قال إنى سمعت الله عزوجل يقول وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم فعلى ممن هدى الله ومن أهل الايمان وابن عم نبى الله ﷺ وختنه على بنته أحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله عز وجل لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها فتغير وجه الحجاج وقام مغضبا عن سريره ودخل بيتا خلفه وخرجنا وأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال اليك عنى ياعامر ألست شيطانا من الشياطين إذ توافقه فى رأيه ألا صدقت إذ سئلت أو سكت فسلمت فقلت قلتها وأنا أعلم بما فيها قال الحسن فذلك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة ثم خرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفانا فكان أهلا لما أتى اليه وكنا أهلا لما أتى الينا فما رأيت مثل الحسن بين العلماء إلا مثل الفرس العربى فيما بين المقارف وما شهدنا بعد مشهدا الابرز علينا بفضله وقال لله وقلنا موافقة للولاة وكان يقول جددوا هذه الأنفس فانها سريعة الدثور واقدعوها فانها طامحة وإنكم إن لم تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية وقال لمطرف بن عبد الله بن الشخير عظ أصحابك فقال له إنى أخاف أن أقول مالا أفعل فقال له يرحمك الله وأينا يقول ما يفعل يود الشيطان انه ظفر بهذه منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر ، ونظر إلى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد فقال ان الله تعالى جعل الصوم مضمارا لعبيده ليستبقوا إلى طاعته ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر ومات فى سنة عشرة ومائة وله تسعون سنة وتقدم موت سيرين بمائة يوم ومات فى رجب ليلة الجمعة وقال عبد الواحد بن زيد رأيت ليلة مات الحسن فى النوم أبواب السماء كأنها مفتحة وكأن الملائكة صفوف فقلت إن هذا لأمر عظيم فقال لى قائل ألا أن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض . وسمع بعض

أصحابه فى منامه ليلة مات كأن منادياً ينادى فى السماء إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه

الخليل بن احمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى ينسب إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن عبد الملك بن نصر الأزدى ويقال اليحمدى واليحمد بطن من الأزد وكان الخليل من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وأشدهم تعففا ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرفون اليه لينال منهم فلم يكن يفعل وكان يعيش من بستان له خلفه عليه والده وكان يغزو سنة ويحج أخرى حتى جاءه الموت . قال محمد بن حميد تزوجت إلى جيران الخليل فنزلت عليهم فكنت أسمع قرآن الخليل طوال الليل فقالوا لى ما عرفنا من هذا الرجل إلا ماترى وإنه ليغيب عنا فى غزو وحج فنتوحش اليه ، وقالوا لا يجوز الصراط بعد الأنبياء والصحابة أدق ذهنا من الخليل وكانت تلك الفضيلة فيه ببركة اسم أبيه لأنه أول من تسمى بأحمد بعد رسول الله ﷺ وقال أبو عاصم: دخلت عليه قبل وفاته بأيام فقال والله مافعلت قط فعلا أخاف على نفسى منه وكان لى فضل فكر صرفته إلى جهة وددت أنى كنت صرفته إلى غيرها وما علمت أنى كذبت متعمدا قط وأرجو أن يغفر الله لى التأول ، واجتمع أدباء كل أفق لجمل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد إلا قال الخليل أذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها. وقال النصر: ما رأى الراءون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه وكان شعث الرأس شاحب اللون قشف الهيئة متخرق الثياب متقلع القدمين مغمورا فى الناس لا يعرف . وقال محمد بن الفضل : كان بالبصرة رجل يعطى دواء لظلمة البصر فينتفع به الناس فمات فأضر ذلك بمن كان يستعمله فذكر للخليل فقال أله نسخة فقالوا لم نجدها قال فهل كان له آنية يعمله فيها قالوا نعم إناء يجمع فيها أخلاطا قال فجيئونى به فجعل يتشممه ويخرج نوعاً نوعاً حتى أخرج خمسة عشر نوعاً ثم سأل عن جمعها ومقاديرها فعرفه من كان يعالج مثله فعمله وأعطاه الناس فانتفعوا به مثل تلك المنفعة ثم وجدت النسخة فى كتب الرجل فاذا فيها ستة عشر خلطا فلم يغفل إلا عن خلط واحد . وكتب اليه ملك اليونان كتاباً باليونانية فخلا به شهراً حتى فهمه فقيل له فى ذلك قال قلت لابد أن يفتتح

الكتاب باسم الله تعالى وما أشبهه فبنيت أول الحروف على ذلك حتى انقاست لى .
وقال النضر بن شميل : جاء رجل من حلقة يونس فسأل الخليل عن شىء فأطرق يفكر فقالوا له ما هذا مما يحتاج إلى فكر يفكر فيه فقال لهم فما الجواب عندكم قالوا كذا قال فانه يزيدكم فى الجواب كذا قالوا نقول كذا قال يقول كذا فانقطعوا فقال ما أجبت بجواب قط إلا وأنا أعرف آخر ما على فيه وكان يخرج من منزله فلم يشعر إلا وهو فى الصحراء ولم يردها لشغله بالفكر . وقال النضر سمعت الخليل يقول الأيام ثلاثة فمهود وهو أمس ومشهود وهو اليوم وموعود وهو غد . وقال الخليل إذا نسخ الكتاب ثلاث نسخ ولم يعارض به تحول بالفارسية ورأى مع رجل دفترا وفيه خط دقيق فقال لصاحبه أيست يا هذا من طول عمرك وقال اجعل ما تكتب بيت مال ومافى صدرك للنفقة وقال العلوم أقفال والسؤالات مفاتيحها وقال الناس فى سجن ما لم يتمازحوا وقال الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال وقيل له ان استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو فقال نعم كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه وقيل له ما الجود فقال بذل المجهود قيل له فما الزهد قال أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود وقال الدنيا أمد والآخرة أبد ، وقال حسب امرىء من الشر ان يرى فى نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول أن يتحول المرء من ذنب إلى غير توبة ولا إقلاع عنه وقال الدنيا اضداد متجاورة وأشباه متباينة وأقارب متباعدة وأباعد متقاربة وقال ثلاثة أشياء أنا أحبها لنفسى ولمن أحب رشده أحب أن أكون بينى وبين ربى من أفضل عباده وأكون بينى وبين الخليقة من أوسطهم وأكون بينى وبين نفسى من شرهم وقال عبد الله بن داود لو كتب شىء بالذهب لكتب هذا ونظر فى فقه لأبى حنيفة فقيل له كيف ترى فقال أرى جدا وطريق جد ونحن فى عزل وطريق هزل وقال عبدالله بن داود لقد نال الناس بالخليل وعلمه الرغائب وانه لبين اخصاص البصرة يزهد فيما يرغب فيه وقال ثلاث ينسين المصائب : مر الليالى والمرأة الحسناء ومحادثة الرجال ، وقال النضر سمعت الخليل يقول التوانى إضاعة والحزم بضاعة والانصاف راحة واللجاج وقاحة وكان له غلام كثير الخلاف عليه فقال له يوما قم فقال لا أقوم فقال اقعد فقال لا أقعد قال فأى شىء تصنع قال لا أصنع شيئا ويشبه هذا قول الشاعر فى امرأته .

سكت فقالت لم سكت عن الحق   وقلت فقالت ما دعاك إلى النطق
فأومأت هل من حالة بين ذا وذا   فقالت وذا الايماء أيضا من الحمق

فلم أر لى إذ حلت الغرب راحة ... من الشر إلا فى الهروب إلى الشرق
فلما أتيت الشرق ألفيتها به ... وقد قعدت لى منه فى ضيق الطرق

وقال ابن مزاحم الشاعر :
كان الخليل صديقا لى فدخلت عليه يوما فقال أجز

رأيت غنى الانسان نفسا زكية فقلت ... مطهرة من كل رجس وباطل
ففى عاجل الدنيا مديح ورفعة فقلت ... وخير عظيم عاجل بعد آجل

قال والله جئت بما فى نفسى ثم قال

كأنك كنت قد خامرت قلبى ... لجئت بما شفيت به الغليلا
رأيت براعة الايجاز أشفى ... فصار كثير غيرك لى قليلا
العلم يذكى عقولا حين يصحبها ... وقد يزيدها طول التجاريب
وذو التأدب فى الجهال مغترب ... يرى ويسمع ألوان التعاجيب

وكان صديق سليمان بن حبيب وأنشد الشعراء فتشاغل عنهم سليمان فذكروا ذلك للخليل فكتب اليه :

لا تقبلن الشعر ثم تعقه ... وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم إذا لم ينصفوا ... حكموا لأنفسهم على الحكام
وجناية الجانى عليهم تنقضى ... وكلومهم تبقى على الأيام

———

شعراء أمويون

النعمان بن بشير م ٦٥ هـ - يزيد بن مفرغ م ٦٩ هـ ، مسكين الدارمي م ٩٠ هـ ، ابن ارطاة ، القتال الكلابي ، المتوكل الليثي ، الأخطل ٩٥ هـ ، جرير م ١١٠ هـ الفرزدق م ١١٠ هـ ، الراعي ٩٠ هـ ، ابو البحر الراجز ١٣٠ هـ ، أعشى ربيعة ٨٥ هـ ، عدى بن الرقاع ، أبو صخر الهزلي ، زياد الأعجم ١٠٠ هـ الكميت م ١٢٦ هـ ، الطرماح ١٠٠ هـ عمران بن حطان ٨٩ هـ مالك بن الريب ، توبة الخفاجي م ٥٧ هـ

اسماعيل بن يسار ١١٠ هـ ، جميل ٨٠ هـ ، عمر ٩٣ هـ ، الحارث بن خالد المخزومي ، وقد ولاه عبد الملك بن مروان مكة ، ابن قيس الرقيات ٧٥ هـ ، كثير م ١٠٥ هـ ، الأحوص ١٠٥ هـ ، ذو الرمة ١١٧ هـ ، يزيد بن الطثرية ١٢٦ هـ ، مزاحم العقيلي ، الراعي النميري ، حميد بن ثور الهلالي ، الأقشر ، الحزين ، الكناني ، القطامي ، ليلى الأخيلية ٨٠ هـ أعشى تغلب العجاج الراجز ، عروة بن أذينة ، أبو حية النميري ، الحسين بن مطير ، رؤبة

تم الكتاب - بحمد الله

الفهرست

مؤلفات وتحقيقات د. محمد عبدالمنعم خفاجي

ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان - مجلد

الآداب العربية في العصر العباسي الأول - مجلد

الأدب الإسلامي: المفهوم والقضية

بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف / علي علي صبح

الأدب الأندلسي: التطور والتجديد - مجلد

الأدب الجاهلي: نصوص ودراسة - مجلد

الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي - مجلد

أسرار البلاغة

بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف

الإسلام والغزو الفكري

بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف

اشعار الشعراء الستة الجاهليين - مجلد

الأصول الفنية لأوزان الشعر

بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف

إعجاز القرآن

للباقلاني

أعلام الأدب في عصر بني أمية ٢/١

الاقتصاد الإسلامي

الإنسانية تعود إلى الإسلام

بالاشتراك مع د. عبد العزيز شرف

الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني

البديع (لابن المعتز)

البلاغة العربية بين التقليد والتجديد

بالاشتراك مع د. عبد العزيز شرف

التفسير الإعلامي للأدب العربي

بالاشتراك مع د. عبد العزيز شرف

التفسير الإعلامي للسيرة النبوية

بالاشتراك مع د. عبد العزيز شرف

الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد

الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام - مجلد

الحياة في العصر الجاهلي - **مجلد**

دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي

دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ١ / ٢ - مجلد

الرؤيا الإبداعية في شعر أحمد زكي أبو شادي

بالاشتراك مع د. عبد العزيز شرف

سيرة خاتم المرسلين - **مجلد**

شاعر الشام خليل مردم

عبد العزيز شرف شاعر الحب والجمال

بالاشتراك مع محمد عبد الواحد حجازي

الفكر الإسلامي بين الأصالة **والتجديد**

فلسفة التاريخ الإسلامي

قصة الأدب في ليبيا العربية ـ مجلد

قصة الأدب في مصر ١ / ٥ ـ في مجلدين

القصيدة العربية بين التطور والتجديد

الماحي شاعر العروبة ـ مجلد

بالاشتراك مع د.عبد العزيز شرف

المختار من الحديث النبوي الشريف ١ / ٥ ـ مجلد

مصادر المكتبة الأدبية

من تراثنا الخالد

تحت الطبع

الآداب العربية في الإسلام

أخبار النحويين البصريين — للسيرافي

البهائية في ضوء الإسلام — مع د.عبد العزيز شرف

دراسات في الأدب المعاصر

دراسات في الأدب المقارن

دراسات في الأدب والنقد

داراسات في النقد الأدبي

روائع الأدب العربي — مع د. عبد العزيز شرف

السحرتي بين النقد والأصالة الأدبية — مع د. عبد العزيز شرف

فصيح ثعلب

القصيدة العربية: دراسات ونقد

موسوعة العصور الأدبية ١ / ٤ — مع د. عبد العزيز شرف